

## الفصل الأول

### الطرائق اللغوية

- (١) : صيغ المبالغة .
- (٢) : أدوات المبالغة .
- (٣) : طرائق أخرى للمبالغة .

## (١) صيغ المبالغة .

قد يحول اسم الفاعل إلى صيغ للدلالة على الكثرة والزيادة في الحدث قصدًا لتقويته وتأكيدِه . ولهذه الصيغ أوزان " خمسة " مشهورة <sup>(١)</sup> تسمى صيغ المبالغة هي :

- ١- فَعَّال نحو : رَزَّاقٌ - عَلَّامٌ - غَفَّارٌ - حَلَّافٌ .
- ٢- مِفْعَال نحو : مِقْدَامٌ - مِئْكَالٌ - مِكْرَامٌ - مِفْضَالٌ .
- ٣- فَعُول نحو : صَبُورٌ - شَكُورٌ - عَجُولٌ - هَلُوعٌ .
- ٤- فَعِيل نحو : حَلِيمٌ - خَبِيرٌ - كَظِيمٌ - خَصِيمٌ .
- ٥- فَعِلٌ نحو : قَطِينٌ - حَذِرٌ - يَقِظٌ - لَبِيقٌ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الصيغ جميعها وردت لها أمثلة في القرآن الكريم عدا الصيغة الأخيرة " فَعِلٌ " فلم يرد لها أمثلة في كتاب الله .

وهناك صيغ أخرى للمبالغة سماعية <sup>(٢)</sup> منها :

- ١- فَعَّالٌ نحو : كُبَّارٌ .
- ٢- فَعِيلٌ نحو : صِدِّيقٌ - فِسِّيِّينٌ .
- ٣- فَعْلَةٌ نحو : حُطْمَةٌ - هُمَزَةٌ - لُمَزَةٌ .
- ٤- فَعُولٌ نحو : قُدُّوسٌ .

(١) انظر مع الهوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق أحمد شمس الدين ط الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م وانظر شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بين يعيش النحوي - مكتبة المتنبّي ٥٩ / ٣

(٢) يرى بعض العلماء المحدثين مثل د . عبده الراجحي أن هذه الأوزان السماعية ينبغي أن تحوّل إلى قياسية للحاجة اللغوية في عصرنا الحديث - انظر التطبيق الصرفي للدكتور عبده الراجحي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م / ٧٨

- ٥- فُعَلَ نحو : عُتِلَ .
- ٦- فَيَعُولُ نحو : قَيُّومٌ .
- ٧- فَاعُولُ نحو : فَارُوقٌ (١)
- ٨- مَفْعِيلُ نحو : مِعْطِيرٌ (٢)
- ٩- فَعِيلٌ نحو : دُرَيٌّ .

وحرري أن ألفت الأنظار إلى أن هذه الصيغ السماعية أولاً : وردت كلها في القرآن الكريم عدا الصيغتين : ( فاعول ) ، ( مفعيل ) فلم يردا في كتاب الله .

ثانياً : هذه الصيغ السماعية وردت قليلةً في اللغة ، وكذلك كان ورودها في القرآن ، ففي الوقت الذي يمكن إحصاء أكثر من مئة مثال للصيغ القياسية المشهورة ، لا نجد في القرآن للصيغ السماعية أكثر من عشرة أمثلة هي المذكورة في أعلى كل صيغة .

(١) لم ترد لهذه الصيغة أمثلة في القرآن الكريم .

(٢) لم ترد - أيضاً - لهذه الصيغة أمثلة في القرآن الكريم سوى نموذج واحد ساقه د . محمد عبد الخالق عضيمة وهو كلمة " مسكين " ولم أجد قيم بين يدي من مصادر لغوية وكتب تفسير من تابعه في هذا . انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم - تأليف د . محمد عبد الخالق عضيمة - دار الحديث - القاهرة ١٧/٧ .

## أولاً : الصيغ القياسية المشهورة

وردت من هذه الصيغ الخمس القياسية – كما أشرت آنفاً – أربعة فقط في القرآن الكريم هي – وفقاً لترتيب كثرة نماذجها وروداً فيه :

- ١- فَعَّال : وردت أربعين مرة<sup>(١)</sup> .
- ٢- فَعِيل : وردت تسعاً وثلاثين مرة .
- ٣- فَعُول : وردت تسعاً وعشرين مرة .
- ٤- مَفْعَال : وردت مرتين فقط .

وإذا بدأ هذا الترتيب – منطقيًا – متسقًا مع كثرة الورد في القرآن فقد بات مُحيرًا كيف يمكن دراسة أمثلة كل صيغة ؟ وعلى أي نحو، يمكن إستيعاب نماذجها وتحليل أمثلتها ؟ .

هل تُرتَّب ترتيبًا هجائيًا أم تُرتَّب كما وردت حسب ترتيب سور القرآن في المصحف ؟ أم لا هذا ولا ذلك وإنما ترتب تبعًا لمقتضى الموضوعات ؟ والحق أن هذا الترتيب الأخير ألصق بموضوع البحث ، وأنجع في إبراز الجوانب البلاغية ، وكشف مناحي المبالغة في كل الموضوعات المندرجة تحت كل صيغة ، وهذا الذي ارتضيتُ منهجًا للدراسة ، ومسلوكًا لتقسيم الصيغ ، ثم من تنمة الدراسة ألحقت كل صيغة بملاحظات ودلالات تُلقى بظلالها على فنية البنية لعل من المفيد ذكرها للوصول إلى الغاية الجمالية المُبتغاة من وراء دراسة الصيغة .

---

(١) دون احتساب تكرار اللفظة أو جمعها – ارجع للمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

## ( ١ ) صيغة فَعَال

وردت لنماذج هذه الصيغة دلالات متعددة ، ومعانٍ شتى ربما تتناقضت أحياناً كوصف المؤمنين ووصف الكافرين ، وربما اتفقت في أحيان أخرى كوصف الخائنين ، والنمامين ، والمناعين للخير والنقائات السواحر ، هذا إضافة إلى أوصاف أخرى مثل وصف الشيطان بالخناس ، ووصف النار بالنزاعة ، واللواحة .

ولاريب أن أسماء الله وصفاته هي أعظم ما احتوته هذه الصيغة ، ومن هنا رأيت أن أُصدّر كل صيغة بأسماء الله وصفاته المندرجة تحت كل صيغة ودلالات المبالغة فيها ثم أذكر سائر الأوصاف مع دلالاتها .

هذه الصيغة يمكن دراسة نماذجها كالآتي :

- ١- ما ورد منها اسماً أو صفة لله - عز وجل .
- ٢- ما ورد منها وصفاً للأنبياء .
- ٣- ما ورد منها وصفاً للمؤمنين .
- ٤- ما ورد منها وصفاً للجنة .
- ٥- ما ورد منها وصفاً للنفس .
- ٦- ما ورد منها وصفاً لليهود .
- ٧- ما ورد منها وصفاً للعصاة والكافرين .
- ٨- ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين .
- ٩- ما ورد منها وصفاً للنار وأهلها .
- ١٠- ما ورد منها لمعانٍ شتى .

سيكتفى في كل نقطة من هذه النقاط العشر ببعض الأمثلة ؛ لأن الغرض هو إظهار نكات المبالغة وفنيات العدول عن اسم الفاعل إلى هذه الصيغة ذات التكنيف الدلالي والتكثير المراد بروزه في السياق من خلال هذه البنية .

## ١- ما ورد منها اسماً أو صفة لله عز وجل

ورد من أسماء الله - تعالى - وصفاته في هذه الصيغة  
 فعَّال "عشرة أسماء هي (١) : التَّوَاب (٢) - الجَبَّار (٢) - الخَلَّاق (٤)  
 - الرِّزَّاق (٥) - عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٦) - الْغَفَّار (٧) - الْفَتَّاح (٨) -  
 فعَّال (٩) - الْقَهَّار (١٠) - الْوَهَّاب (١١) .

- (١) وفقاً للترتيب الهجائي .
- (٢) ورد هذا الاسم إحدى عشرة مرة كالاتي : " التَّوَاب الرحيم " ٦ مرات هي : في البقرة/ ٣٧ ، ٥٤ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ، والتوبة/ ١٠٤ ، ١١٨ و " تَوَابٌ حَكِيمٌ " مرة واحدة في النور/ ١٠ ، و " تَوَابٌ رَحِيمٌ " مرة واحدة في الحجرات/ ١٢ و " تَوَابًا رَحِيمًا " مرتين في النساء/ ١٦ ، ٦٤ و " تَوَابًا " مرة واحدة في النصر/ ٣ .
- (٣) ورد هذا الاسم مرة واحدة في سورة الحشر الآية/ ٢٣ ، وسائر الأمثلة وردت في غير اسم الله " جَبَّارٌ " و " جَبَّارِينَ " تسع مرات هي : في المائدة/ ٢٢ ، هود/ ٥٩ ، ابراهيم/ ١٥ ، في مريم/ ١٤ ، ٣٢ ، الشعراء/ ١٣٠ ، القصص/ ١٩ ، غافر/ ٢٥ ، في ق- ٤٥ .
- (٤) ورد هذا الاسم مرتين هما : في الحجر/ ٨٦ ، يس- ٨١ وقد جاء في المرتين مقترناً باسمه " العليم " .
- (٥) ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الذاريات/ ٥٨ .
- (٦) وردت هذه الصفة أربع مرات : في المائدة/ ١٠٩ ، ١١٦ والتوبة/ ٧٨ وسبأ/ ٤٨ .
- (٧) ورد هذا الاسم بلفظ " غفار " أربع مرات : في طه/ ٨٢ ، ص- ٦٦ ، الزمر/ ٥ وغافر/ ٤٢ ، ومرة واحدة بلفظ " غفاراً " في سورة نوح/ ١٠ .
- (٨) ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ سبأ/ ٢٦ .
- (٩) وردت هذه الصفة مرتين : الأولى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود/ ١٠٧ ، والأخرى ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ البروج/ ١٦ .
- (١٠) ورد هذا الاسم ست مرات : يوسف/ ٣٩ ، والرعد/ ١٦ ، و ابراهيم/ ٤٨ ، وص- ٦٥ ، والزمر/ ٤ وغافر/ ١٦ .
- (١١) ورد هذا الاسم ثلاث مرات : في قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران/ ٨ وفي ص- هما : الأول : قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ ص- ٩ والآخر : قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص- ٣٥ .

## أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء

أولاً : اسم الله " التَّوَاب " .

اتفقت كلمة العلماء ألا يوصف الله عز وجل - باسم الفاعل منه كما قال أبو حيان " وأجمعوا أنه لا يوصف تعالى بتائب ولا آيب .... " (١)

والصيغة للمبالغة وفي هذا ترغيب من الله تعالى في التوبة والرجوع إلى الطاعة والاستقامة ، وطمع " في عفوهِ تعالى وإحسانه .

ولما كان الإنسان كثير الزلل ، دائم العثر ، لا ينفك عن اللثم ناسب ذلك - على سبيل التفضل من المنان - أن يقابل هذا الإكثار من الذنوب بالإكثار من توبته على عبادِهِ ومن هنا فقد حوى هذا الاسم من الفيوضات الربانية الكثير منها :

كثرة القبول لتوبة العبد ، أو كثرة الإعانة عليها (٢) سواء صدرت التوبة من أفراد كثيرين أو تكرر من شخص واحد فهو سبحانه المُغْفِق بإحسانه على الجميع وعلى الفرد مهما تعددت الزلات مادام قد رجع وأناب .

وغني عن البيان أن أذكر بأن التوبة من الله على العبد هي العطف والتفضل عليه كما قال تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (٣) ، ومن العبد هي الرجوع والإنابة إلى طاعته - تعالى - لطلب ثواب أو خشية عقاب أو رفع درجات كقوله سبحانه : ﴿ وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤)

ومن معاني اسم الله " التَّوَاب " ( الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب ) (٥) .

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأنلسي - تحقيق د. عادل أحمد عبد الموجود وآخرون - دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٩٩٣م / ١ / ٣٢٠ .

(٢) انظر البحر المحيط / ١ / ٣٢٠ .

(٣) سورة البقرة / ٣٧ .

(٤) سورة النور / ٣١ .

(٥) التحرير والتوير - تأليف محمد الطاهر بن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس / ١ / ٤٣٩

كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

وكثيراً ما اقترن هذا الاسم باسم الله " الرحيم " فما العلة في ذلك ؟ قال  
أبو حيان : ( لأن قبول التوبة سببه رحمة الله لعبده ) (٢) .

وقال ابن عاشور : ( لأن الرحيم جار مجرى العلة للتوابع ؛ إذ قبوله  
التوبة عن عباده ضرب " من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا  
نفع التائب نفسه بعدم العود للذنب حتى تترتب عليه الآثام وأما الإثم المترتب  
فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل ... بوعد من  
الله ) (٣) .

وقال أبو السعود : ( وفي الجمع بين الوصفين وعد " بليغ للتائب  
بالإحسان مع العفو والغفران ) (٤) .

فلا غنى للتائب عن رحمة " الرحيم " بحال ؛ إذ بهذه الرحمة تُقبل  
التوبة ويُغفر الذنب ويُجبر الكسر ، وقد يُبدل الله - بإحسانه - السيئة الحسنة  
ومهما كثرت ذنوب العبد ، فإن الله - برحمته - يغفرها ولو بلغت عنان  
السماء وجاء الإسمان بهذه البنية " بنية المبالغة " للاشعار بمدى التفضل  
واللطف بالخلق كما قال نبي الله يوسف : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة / ٣٧ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٣٢٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٤٣٩ .

(٤) تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود العمادي - دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثانية  
١٩٩٠م ١ / ٩٢ وانظر كذلك تفسير البيضاوي ١ / ٥٥ .

(٥) سورة يوسف / ٣٨ .

## ثانياً : اسم الله " الرزاق "

الصيغة للمبالغة للدلالة على كثرة الإرزاق وهو ما يعمُّ المال والإطعام<sup>(١)</sup> حيث تدل على سعة الرزق ، وكثرة من يرزقه الله تعالى من الخلق ، فلك أن تتصور مدى تناهي عظمة الله في إعاشة المخلوقات وبسط خيره عليهم مهما دقت أماكنهم ، وغارت مساكنهم ، هذا البسط وتلك السعة ناشئان عن غنى الله المطلق .

وفي هذا الاسم – أيضاً – إشارة إلى أنه إذا كان الله هو الرزاق بهذا التفضل وهذا الإحسان فمن الواجب الاعتماد عليه وحده وليس على أحد سواه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرزق نوعان : ظاهر<sup>(٢)</sup> للابدان في الأقوات والأطعمة وباطن<sup>(٣)</sup> للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم<sup>(٤)</sup>

## ثالثاً : اسم الله " القهار "

القهار : هو ( الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره )<sup>(١)</sup> واللافت أن المواضع الستة الواردة لهذا الاسم في القرآن الكريم كلها اقترنت باسمه " الواحد " ، فجاءت كلها " الواحد القهار " وذلك دلالة على أن الذي يملك في هذا الكون القهر والغلبة إنما هو به<sup>(٢)</sup> " واحد " وهو الله العليّ المتعال .

قال ابن منظور : " القهر : الغلبة والأخذ من فوق . والقهار : من صفات الله – عز وجل – قال الأزهري : والله القاهر القهار قهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرقهم على ما أراد طوعاً وكرهاً ؛ والقهار للمبالغة . وقال ابن الأثير : القاهر هو الغالب جميع الخلق"<sup>(٣)</sup> وبنية " المبالغة " في هذا الاسم لها دلالة بيّنة على إثبات القهر المطلق لله عز وجل ، وخضوع الخلق جميعهم وفق مشيئته ، وحكمته طوعاً أو كرهاً فسبحان من خضعت له رقاب الجبابرة !

(١) التحرير والتنوير مجلد ١٣ ٢٧ / ٢٩

(٢) النظر لسان العرب لابن منظور مادة ( ر . ز . ق ) .

(٣) البيضاوي ١ / ٤٨٤

(٤) لسان العرب مادة ( ق . ه . ر ) .

## رابعاً : اسم الله " الوهَّاب "

من معاني هذا الاسم أنه يعطي النوال والرِّقْد قبل السؤال (١)

ومن معانيه : أنه يعطي كل مخلوق على قدر استحقاقه (٢)

كذلك أنه — سبحانه — المتفضل وحده بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء قال الخطابي : " لا يستحق أن يُسمَى وهَّاباً إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطاء ، فكثرت نوافله ودامت ، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا ونوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم ولا ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ولا عافيةً لذي بلاء . والله — سبحانه — يملك جميع ذلك ومع الخلق جوده ورحمته ، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده " (٣)

ومن فيوضات هذا الاسم — أيضاً — أنه يمنح عطاياها للخلق بلا أعراض أو أغراض فما من مخلوق يُعطي عطاءً إلا وهو يأمل غرضاً أو عرضاً أو عوضاً إلا الغني — سبحانه — قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٤)

هذا الاسم ورد في القرآن ثلاث مرات ، منه مرتان في سياق " إنك أنت الوهَّاب " يقول ابن عاشور عن هذا السياق ( القصر في قوله " إنك أنت الوهَّاب " للمبالغة ؛ لأجل كمال الصفة فيه — تعالى ؛ لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبا به وفي هذه الجملة تأكيد بان ، وبالجملة الاسمية وبطريق القصر ) (٥)

(١) انظر الصاوي على الجلالين — دار إحياء الكتب العربية — عيسى الحلبي وشركاه ٢١٥ / ١

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني — تحقيق صفوان عدنان داوودي دار القلم — دمشق ،  
الدار الشامية — بيروت ط الأولى ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م / ٨٨٤

(٣) القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى — تأليف مجدي منصور الشورى مكتبة العلم — القاهرة  
١٩٩٩ م / ٤٦٦

(٤) فاطر / ١٥

(٥) التحرير والتتوير ١٧١ / ٣

## ٢ - ما ورد منها وصفاً للأنبياء

ورد من صيغة "فَعَّالٌ" - وصفاً للأنبياء - مثالان : هما : أوَّابٌ - أوَّاهٌ .

### أولاً : أوَّابٌ

ورد هذا اللفظ بصيغة المفرد في القرآن خمس مرات ، أربعٌ منها في سورة ص - (١) وموضع واحد في سورة ق - (٢)

وورد لفظ واحد بصيغة الجمع في سورة الإسراء (٣)

ومن عجيب أن ظاهر اللفظ متعلق بالذنب ، ولا يعدو أن يكون الأوَّابُ إلا رجلاً كثيراً الذنوب ، بيد أنه انماز بخصلة رائعة هي أنه كلما أذنب ذنباً لا يستغرق فيه ولا يتمادى ؛ بل يقصر ويسرع الرجوع والإنابة إلى الله ، فالأوَّاب هو الرجاع عن المعصية بعد مخالطتها إلى الطاعة والاستقامة وهذا ما اتفق عليه جُلّ المفسرين (٤) ولكن ما قاله ابن منظور : ( وأوَّاب : كثير الرجوع إلى الله - عز وجل من ذنبه ) .

(١) - ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوَّابٌ ﴾ ص - ١٧ /

٢- ﴿ والطير محشورة كل له أوَّابٌ ﴾ ص - ١٩ /

٣- ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوَّابٌ ﴾ ص - ٣٠ /

٤- ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوَّابٌ ﴾ ص - ٤ /

(٢) ﴿ هذا ما توعدون لكل أوَّاب حفيظ ﴾ ق - ٣٢ /

(٣) ﴿ فإنه كان للأوَّابين غفوراً ﴾ الإسراء / ٢٥

(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ٩٧ / ، والتسهيل لابن جزي الكلبي - دار الكتاب العربي ط الرابعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ١٧٠ / ٢ ، والبيضاوي ١ / ٥٦٨ ، وأبنا السعود ٥ / ١٦٧ ، والساوي على الجليلين ٣ / ٢٩٦ والكشاف للزمخشري - دار المعرفة - بيروت - لبنان ٣ / ٣١٩ ، والتحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٣ / ٢٢٧ .

والأوبية : الرجوع كالتوبة ، والأواب : التائب . قال أبو بكر : في قولهم رجل " أواب سبعة أقوال : قال قوم : الأواب : الراحم وقال قوم " : الأواب التائب ، وقال سعيد بن جبير : الأواب المُسبِّح ، وقال ابن المسيب : الأواب : الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقال قتادة : الأواب : المطيع ، وقال عبيد بن عمير : الأواب : الذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه ، وقال أهل اللغة الأواب الرجّاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة من أب يؤوب إذا رجع. قال الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٌ ﴾ (١)

يكشف لنا جلوية الأمر ؛ إذ اللفظ عند المفسرين وقف عند حدود الرجوع عن المعصية ، ولا يعدو هذا التفسير إلا أن يكون وجهًا من الوجوه المتعددة التي نقلها " ابن منظور " للفظ ، إذ كيف ينسجم هذا مع دأب الأنبياء وهم معصومون !؟

فمن معانيه الأخرى " المُسبِّح " و " المطيع " ، وهذا هو الأليق بهدي الأنبياء ، كما أن الأنبياء المقصودين بهذا الوصف في الآيات الثلاثة " هم : داود وسليمان وأيوب فأي ذنوب متكررة فعلها هؤلاء ؟ (٢)

بينما يمكن إجراء كل الأوجه بعد ذلك — دون حرج — إذا وُصف باللفظ المؤمنون كما في قوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا تَوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٌ ﴾ (٣) وكما جاء في صورة الجمع ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴾ (٤)

(١) لسان العرب مادة ( أ . و . ب ) .

(٢) اللهم إلا بعض التصرفات التي لامها القرآن على الأولين ، فنبى الله داود يتسرع في الحكم بين الخصمين ويستشعر من نفسه أنه قد أخطأ كما قال تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ \* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا لِرُزْقِي وَحَسَنَ مَأَبٍ ﴾ ص / ٢٤ ، ٢٥ .  
وسليمان مرة تشغله الخيل عن الذكر كما قال تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ \* رَدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ص / ٣٢ ، ٣٣ .  
وأخرى عند ما قال : ﴿ لِأَطْوَفِ اللَّيْلِ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً ... أَوْ مِائَةَ تَأْتِي كُلَّ وَاحِدَةٍ فَبَارِسُ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ : إِن شَاءَ اللَّهُ ... الْحَدِيثُ رِوَاةُ الْبُخَارِيِّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص / ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) ق / ٢٢ .

(٤) الإسراء / ٢٥ .

## ثانياً : أوّاه :

ورد هذا اللفظ بهذه الصيغة المفردة مرتين (١)

والأوّاه مبالغة من التّأوه أي الذي يُكثر من التّأوه والتوجع وكذلك يُكثر من قول : آه أو أوّه (٢) إظهاراً لخشية الله تعالى وتضرعاً وتذلاً له ، كما يشير اللفظ بهذه الصيغة إلى فرط الرحمة والرفقة وتناهي رقة القلب .

قال ابن منظور : ( رجل " أوّاه : كثير الحزن ، وقيل : هو الدّعاء إلى الخير ، وقيل : المؤمن بلغة الحبشة ، وقيل : الرحيم الرقيق .... وقيل : الأوّاه هنا المتأوه شفقاً وفرقاً ، وقيل : المتضرع يقيناً أي إيقاناً بالإجابة ولزوماً للطاعة ، هذا قول الزجاج ، وقيل : الأوّاه المُسبِّح وقيل هو الكثير الثناء . ويقال : الأوّاه : الدّعاء . وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ..... " اللهم اجعلني مخبئاً أوّاهاً منيباً ؛ الأوّاه المتأوه المتضرع " (٣)

واللفظ كما هو ظاهر " متشعب المناقب ، متعدد الخلال الكريمة ، والنبي الوحيد الذي اتصف بهذا الوصف هو نبي الله إبراهيم - عليه السلام - ولا حرج فقد كان يعدل بإيمانه خصال أمة مجتمعة قال عز من قائل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤)

### ٣ - ما ورد منها وصفاً للمؤمنين

ورد من صيغة " فعّال " - وصفاً للمؤمنين - لفظ واحد هو " صَبَّارٌ " وتكرّر في القرآن أربع مرات (٥) .

(١) الأولى ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ التوبة / ١١٤ والأخرى ﴿ إن إبراهيم لحليم " أوّاه " منيب ﴾ هود / ٧٥ .

(٢) انظر التسهيل ٨٦ / ٢ ، والبيضاوي ٤٢٣ / ١ ، وأبا السعود ١٠٨ / ٤ والصاوي على الجلالين ١٤٦ / ٢ ، والكشاف ١٧٤ / ٢ ، والتحرير والتنوير مجلد ٦ / ١١ / ٤٦ ، المفردات / ١٠١ .

(٣) لسان العرب مادة ( أ . و . ه ) .

(٤) النحل / ١٢٠ .

(٥) هي : قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْهُمْ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ إبراهيم / ٥ وقوله : ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لقمان / ٣١ وقوله : ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَذْقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سبأ / ١٩ وقوله : ﴿ فَيُظِلُّنَّ رُؤُوسَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الشورى / ٣٣ .

والصيغة للمبالغة وهي تعني كثير الصبر على طاعة الله وعن معاصيه (١)

ومما ينبغي الالتفات إليه أن لفظ "صَبَّارٌ" ليس من أسماء الله تعالى ؛ لأن أسماء الله توقيفية وإنما الذي في أسماء الله "الصبور" ولم يرد في كتاب الله ، وإنما ورد في الحديث الصحيح في قوله - صلى الله عليه وسلم : " لا أحد أصبر من الله " (٢) ، قال ابن منظور : ( في أسماء الله تعالى : الصبور تعالى وتقدس ، هو الذي لا يعاجلُ العصاة بالانتقام ، وهو من أبنية المبالغة ) (٣) .

وقال " الراغب الأصفهاني " في الفرق بين " الصبور " و " الصَّبَّار " :

( الصبور : القادر على الصبر ، والصَّبَّار : يقالُ إذا كان فيه ضربٌ من التكلف والمجاهدة ) (٤)

والملاحظ على الصيغة أنها اقترنت في المواضع الأربعة بلفظ آخر هو "شكور" وهو أيضاً للمبالغة أيذان " بأن المؤمن لكي يبلغ درجة الاتعاض والانتفاع بالآيات عليه أن يُكثر من الصبر والشكر (٥)

#### ٤ - ما ورد منها وصفاً للجنة

ورد من صيغة "فَعَّالٌ" - وصفاً للجنة - لفظ واحد هو " نضاختان " وجاء ذكره في القرآن - أيضاً - مرة واحدة (٦) .

واللفظ وصفٌ "لعينين في الجنة" ، وهو بهذه البنية الدالة على الكثرة يُثري جانب التصور المطلوب لتتاهي الجمال الرباني المُعدَّ في الجنة ، كما يمنح المتلقي دلالاتٍ متعددة ، فمع هذه الوفرة والفورة للصيغة إلا أن السياق القرآني لم يُشير في أي شيء تم هذا النضخ ؟ هل هو نضخ للماء

(١) انظر تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الغد العربي ، القاهرة ٣٦٧٩ / ٥ وانظر الصاوي على الجليلين ٢٣٦ / ٢ .

(٢) متفق عليه .

(٣) لسان العرب مادة ( ص . ب . ر ) .

(٤) المفردات / ٤٧٤ .

(٥) انظر البحر المحيط ٣٩٥ / ٥ ، وانظر الصاوي على الجليلين ٢٣٦ / ٢ .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ الرحمن / ٦٦ .

أم للمسك أم للخير والبركة ومن هنا اختلف توجه المفسرين للفظ واللفظ في القرآن من إعجازه أنه " حمّال أوجه " وإليك بعض هذه الوجوه التي ذهب إليها المفسرون :

الأول : نضاختان أي فوّارتان بالماء والنضح بالخاء المعجمة أقوى من النضح بالخاء المهملة الذي هو الرش (١) .

الثاني : مع كونهما فوّارتين تجيشان بالماء تكاثراً فهما لا ينقطعان (٢) . بخلاف عيون الدنيا إذ سرعان ما يصيبها النضب والغور .

الثالث : قال القرطبي (٣) عن أنس : تنضح على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضح رش المطر . وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفواكه والماء . الترمذي : قالوا بأنواع الفواكه والنعم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات (٤) .

#### ٥ - ما ورد منها وصفاً للنفس (٤)

ورد من صيغة " فَعَال " - وصفاً للنفس - لفظان (٥) هما :

الأول : أمّارة . وجاء في القرآن مرة واحدة (٦) .

والنفس " الأمّارة " كثيرة الأمر والميل إلى الشهوات (٧) .

و ( النفس هنا للجنس ، والنفس ثلاثة أنواع : أمّارة بالسوء ، ولوامة وهي التي تلوم صاحبها ، ومطمئنة ) (٨) .

(١) انظر التحرير والتنوير مجلد ١٣ / ٢٧ / ٢٧٢

(٢) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٣٤ .

(٣) القرطبي ٩ / ٦٥٨٥ .

(٤) سيفرد لها - إن شاء الله - مبحث خاص في الفصل الرابع .

(٥) ثم لفظ آخر هو " منّاع " في قوله تعالى : " منّاع للخير " ق/٢٥ ، بيد أنه من الأوضح أن يدرس المنع وصفاً للنفس في " منوع " في صيغة " فعول " في قوله تعالى : " وإذا مسه الخير كان منوعاً " العاديات/٦ ، ولأن " منّاع " خاص في الوليد بن المغيرة و " منوع " وصف عام انظر الفصل الرابع مبحث النفس البشرية .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف/٥٣ .

(٧) انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٠٩ ، وأبا السعود ٤ / ٢٨٥

(٨) التسهيل ٢ / ١٢٢

واللفظ الآخر : اللوامة : جاء في القرآن كذلك مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (١)

والنفس اللوامة هي التي " لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان " (٢) ومن هنا فهي التي يتكرر عتابها ولومها لنفس المؤمن ، وكان الصيغة تضيف على اللفظ معنى التكرار والملازمة للوَم والعتاب والزجر قال القرطبي : ( معنى " بالنفس اللوامة " أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه يقول : ما أردت بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه ، قاله ابن عباس ومجاهد ، والحسن وغيرهم . قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشرِّ لِمَ فعلته ؟ وعلى الخير لِمَ لمْ تكثر منه ؟ ) (٣) .

## ٦ - ما ورد منها وصفاً لليهود (٤)

ورد من صيغة " فَعَال " - وصفاً لليهود - لفظان هما :

الأول : ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ جاء في القرآن مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (٥)

و" الأكل والأكَّال : الكثير الأكل " (٦)

فهم قوم " يُكثرون من أكل الحرام من الرشوة والربا ( عن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كفه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ) (٧) .

(١) القيامة / ٢

(٢) الكشاف / ٤ / ١٦٣

(٣) القرطبي / ١٠ / ٧١٢٩

(٤) سيفرد لها - إن شاء الله - مبحث مستقل في الفصل الخامس .

(٥) المائدة / ٤٢

(٦) المفردات / ٨٠

(٧) الكشاف / ١ / ٣٣٩

اللفظ الآخر : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ وجاء في القرآن أربع مرات (١)

قال ابن منظور : " رجل " سَمَاعٌ : إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق به " (٢) .

" والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما يفتريه أحبارهم من الكذب على الله - سبحانه - وتحريف كتابه ، أو سمَاعُونَ أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير ، أو أخبار الناس وأقاربهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرفجوا بقتل المؤمنين ، انكسار سراياهم .... فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء أمورهم على ما لا أصل له من الأباطيل ، والأراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون ، وما يذرون للقطع بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب ) (٣) ، ويُضيف " ابن عاشور " : ( جاء " سمَاعُونَ " بصيغة المبالغة للدلالة على أن استماعهم تام ، وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يُسمع ) (٤) .

وأقول ربما اكتسبوا صفة المبالغة في السماع على سبيل الذم لعدم تمييزهم في السماع بين الحسن والرديء ، فبيدوا أنهم أضافوا إلى السماع حب التصديق ، والميل إلى القبول ، على الرغم من قبح الكذب وجلاء الافتراء ، فهم - نظراً لاجوجاج جبلتهم ، وانكاس فطرتهم أحد رجلين ؛ إما مغرق في السماع إلى الكذب ! أو مبالغ " في سماع الأخبار والأحاديث قصداً لتحريفها وتبديلها ثم بعد ذلك نشرها ( وفي هذا كناية عن تفشي الكذب في جماعتهم بين سامع ومخلق ؛ لأن كثرة السمع تستلزم كثرة القول ) (٥) .

(١) هي قوله تعالى : ﴿ ومن الذين هادوا سمَاعُونَ للكذب ﴾ المائدة / ٤١ .

وقوله تعالى : ﴿ سمَاعُونَ لقومٍ آخرين لم يأتوك ﴾ المائدة / ٤١ .

وقوله تعالى : ﴿ سمَاعُونَ للكذب الكالون للسحت ﴾ المائدة / ٤٢ .

وهذه المواضع الثلاثة في اليهود أما الموضع الرابع وهو قوله تعالى : ﴿ ولأوضحوا خلاكم بيغونكم الفتنة وفيكم سمَاعُونَ لهم ﴾ التوبة / ٤٧ فقد نزلت في " المنافقين " .

(٢) لسان العرب مادة ( س . م . ع ) .

(٣) أبو السعود ٤١١٣

(٤) التحرير والتنوير مجلد ٦ / ١٠ / ٢١٨

(٥) التحرير والتنوير مجلد ٤ / ٦ / ١٩٩ .

## ٧ - ما ورد منها وصفاً للعصاة والكافرين

ورد من صيغة " فعَال " وصفاً للعصاة والكافرين عشرة أمثلة هي :

أفَّاك - حلاَّف - ختَّار - الخرَّاصون - خوَّان - سحَّار -  
كفَّار - مشاء بنميم مناع للخير - النَّقَّات .

أولاً : أفَّاك :

ورد هذا اللفظ في القرآن مرتين : الأولى : قوله تعالى : ﴿ تَنْزِلُ عَلٰى كُلِّ اَفَّاكٍ اٰثِمٍ ﴾ (١)

والأخرى : قوله تعالى : ﴿ وَيَلُكُلُ اَفَّاكٍ اٰثِمٍ ﴾ (٢)

" الإفك : الكذب ... والأفَّاك : الذي يَأفك النَّاس أي يَصُدُّهم عن الحق بباطله " (٣) قال أبو حيان في تفسير آية الشعراء : ( تنزل على كل أفَّاك وهو الكثير الإفك وهو الكذب ( أثيم ) كثير الإثم " فأفَّاك أثيم " صيغتا مبالغة والمراد الكهنة ) (٤) وقال ابن جزي في تفسير آية الجاثية : ( الأفَّاك مبالغة في الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها على العموم ) (٥) .

ثانياً : حلاَّف :

ورد هذا اللفظ في القرآن مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ (٦)

الحلاَّف : كثير الحلف في الحق والباطل (٧) ومن دلالات صيغة " المبالغة " النهي عن الإكثار من الحلف وإن كان على سبيل الحق والاقتصار منه فقط على ما تقتضيه الضرورة ويستدعيه الظرف والحال .

(١) الشعراء / ٢٢٢

(٢) الجاثية / ٧

(٣) لسان العرب مادة ( أ . ف . ك ) .

(٤) البحر المحيط ٧ / ٤٥

(٥) التسهيل ٤ / ٣٨

(٦) القلم / ١٠

(٧) انظر الكشف ٤ / ١٢٧ ، والمصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٧ ، وأبا السعود ٩ / ١٣ والبيضاوي ٢ / ٥١٥ ،

والتسهيل ٤ / ١٣٨ .

## ثالثاً : خنَّار :

ورد كذلك في القرآن مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَنَّارٍ كُفُورٍ ﴾ (١) .

الخنَّار : صيغة مبالغة تعني الغدَّار شديد الغدر وذلك لجحوده نعمة الله (٢)

قال ابن منظور : ( الخنر : شبيهه ” بالغدر والخديعة ، وقيل : هو الخديعة بعينها ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه ... وخنَّار للمبالغة ) (٣)

## رابعاً : الخرَّاصون :

ورد في القرآن مرة واحدة هي قوله عز من قائل : ﴿ قَتِلِ الْخَرَّاصُونَ ﴾ (٤)

( الخرَّاصون : الكذَّابون ، وأصل الخرَّاص : التخمين والقول بالظن والإشارة إلى الكفَّار ، وقيل إلى الكهَّان والأول أظهر ) (٥)

وفي الصيغة إشارة إلى ذم الاختلاق وكل قول لا ينبنى على علمٍ أو يقين كما قال عز من قائل : ﴿ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٦)

## خامساً : خَوَّان :

ورد في القرآن مرتين : الأولى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٧)

والأخرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٨)

(١) لقمان / ٣٢

(٢) انظر القرطبي ٥٣٣٨ / ٧ ، والبحر ١٨٩ / ٧ ، والبيضاوي ٢ / ٢٣١ والتسهيل ٣ /

١٢٨ ، والكشاف ٢ / ٢١٦ ، والتحرير والتبوير مجلد ١٠ / ٢١ / ١٩١ .

(٣) لسان العرب مادة ( خ . ت . ر ) .

(٤) الذاريات / ١٠

(٥) التسهيل / ٤ / ٦٧

(٦) الأنعام / ١١٦

(٧) النساء / ١٠٧

(٨) الحج / ٣٨

## " الخَوَّانُ : مبالغة في خائن " (١)

قال ابن عاشور بصدد ماجاء في سورة النساء " خَوَّانٌ كَفُورٌ " ( الخَوَّانُ الشديد الخَوْنُ . والخَوْنُ كالخيانة : الغدر بالأمانة والمراد بالخَوَّانُ الكافر ؛ لأن الكفر خيانة لعهد الله الذي أخذه على المخلوقات بأن يوحدوه ، فجعله في الفطرة ، وأبلغه الناس على السنة الرسل فنبتَه بذلك ما أودعهم في فطرتهم ) (٢)

وقال أبو حيان بصدد ما جاء في سورة الحج " خَوَّانًا أَثِيمًا " ( أتى بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم ليخرج منه من وقع منه المرّة ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد ) (٣)

بيد أنه ينبغي الحذر من فهم تقييد البعض بالكثرة والمبالغة في الخيانة ، وانتفائها عند القلة أو الندرة ؛ لأن الصيغة جاءت لبيان أن " طعمة " (٤) الذي نزلت فيه آية النساء كان كذلك كثير الخيانة (٥)

## سادساً : سَحَّارٌ :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ يَا تُوكِ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦) وهنا نكتة بلاغية لطيفة ، كانت صيغة المبالغة سرّاً ومنبع جمالها إذ لما قال فرعون للملأ ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧) وجاءت لفظاً " ساحر " بصيغة اسم الفاعل ، أرادوا أن يطمئنوه ويبثوا في قلبه " الرضا فأخبروه أن ثمة من هو أكثر منه علماً بالسحر فجاءوا بصيغة المبالغة ، قال " أبو حيان " : ( عارضوا بقوله : بكل سحّار ) فجاءوا بكلمة الاستغراق والبناء الذي للمبالغة لينقّسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب ) (٨)

(١) التسهيل ٤٢ / ٣

(٢) التحرير والتوير مجلد ٨ ٢٧٢ / ١٧

(٣) البحر المحيط ٣٥٩ / ٣

(٤) سرق " طعمة بن الأبيرق " طعاماً وسلاحاً ليهزم الأتصر ، فجاء قومه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -

وقالوا إنه بريء ونسبوا السرقة إلى غيره وظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم صادقون ، فجادل

عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا . تضر التسهيل ١٥٧ / ١

(٥) انظر أبا السعود ١٠٨ / ٦

(٦) الشعراء / ٣٧

(٧) الشعراء / ٣٤

(٨) البحر المحيط ١٥ / ٧ ، وانظر الكشاف ١١٣ / ٢ ، والاصوي علي الجلايين ١٤٢ / ٣ ، والبيضاوي / ٢

## سابعًا : كَفَّار :

ورد في القرآن أربع مرّات (١)

الكفّار : شديد الكفران (٢) و " الكفّار أبليغ من الكفور " (٣) واللفظة لها في كل آية توجه ففي موضع سورة البقرة ﴿ وَاللّٰهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اٰثِمٍ ﴾ قال أبو حيّان : ( فيه تغليظ أمر الربا ، وايدان " أنه من فعل الكفّار لا من فعل أهل الإسلام ، وأتى بصيغة المبالغة في الكافر والإثم وإن كان تعالى لا يحب الكافر ، تنبيهًا على عظم أمر الربا ومخالفة الله ) (٤)

## ثامنًا : مشاء بنميم :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (٥) ومعناه : كثير المشي بالنميمة و " يُكْنَى بِالْمَشِيِّ عَنِ النَّمِيمَةِ " (٦) وهذا نموذج من نماذج الكافرين (٧) حيث يهتم كل الاهتمام بنقل الحديث على وجه السعاية والنكاية ، ويسعى في ذلك سعيًا لإفساد ذات البين وفسخ الوشائج بين الناس وإتلاف حبال المودة بينهم .

## تاسعًا : مناع للخير :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّرِيْبٍ ﴾ (٨)

- 
- (١) هي قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اٰثِمٍ ﴾ البقرة / ٢٧٦ .  
وقوله تعالى : ﴿ وَاِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تَحْصَوْهَا اِنَّ الْاِنْسَانَ لظَلُوْمٌ كَفَّارٌ ﴾ ابراهيم / ٣٤ .  
وقوله تعالى : ﴿ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ الزمر / ٣ .  
وقوله تعالى : ﴿ اَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ق / ٢٤ .
- (٢) انظر البيضاوي ٥٢٠/١ ، وأبا السعود ٥٠ / ٥
- (٣) المفردات ٧١٥ /
- (٤) البحر المحيط ٣٥٠ / ٢
- (٥) القلم / ١١
- (٦) المفردات ٧٦٩ /
- (٧) قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأخنس بن شريف وقيل غيرهما . انظر البحر المحيط ٣٠٤ / ٨ ،  
والصاوي على الجلالين ١٩٧/ ٤ ، الكشاف ١٢٧/ ٤
- (٨) ق / ٢٥

"رجل" ممنوع ومانع ومَناع : ضنين مُمنِك " (١) وهو أيضاً نموذج من نماذج الكافرين في قریش (٢) كان ( كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه ) (٣) .

### عاشراً : النَّقَّاتُ :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّقَّاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (٤)

( النَّقْتُ : أقل من التفل ؛ لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق والنَّقْتُ : شبيه بالنفخ ، وقيل : هو التفل بعينه .. قوله عز وجل : ﴿ من شرِّ النَّقَّاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ : هنَّ السواحر . والنواقيث : السواحر حين يَنقُثن في العقَد بلا ريق ) (٥) قال أبو حيان : ( " والنَّقَّاتُ " النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر يعقدن عقداً في خيوط وينقثن عليها ويرقن ) (٦) .

### ٨ - ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين

ورد من صيغة " فعَّال " وصفاً للشيطان ثلاثة ألفاظ هي :

الخنَّاس - بنَّاء - غَوَّاص .

### الأول : الخنَّاس :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (٧)

- 
- (١) لسان العرب مادة ( م . ن . ع ) .  
(٢) كادت أن تتفق كتب التفسير على أن المقصود بالآيات " الوليد بن المغيرة " انظر البيضاوي ٢ / ٤٢٣ ، والتحرير والتنوير مجلد ١٢ ٢٦ / ٣١٢ ، وأبنا السعود ٨ / ١٣١ .  
(٣) أبو السعود ٨ / ١٣١  
(٤) الفلق / ٤  
(٥) لسان العرب مادة ( ن . ف . ث ) .  
(٦) البحر المحيط ٨ / ٥٢٣  
(٧) الناس / ٤

**الْخَنَاسُ :** ( أي الشيطان الذي يخنس ، أي يتقبضُ إذا ذُكر الله تعالى ) (١) وقال ابن منظور : ( في الحديث : الشيطان يوسوس إلى العبد ، فإذا ذكر الله خنس : أي انقبض منه وتأخر . قال الأزهري : وكذا قال الفراء في قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ قال : إبليس يوسوس في صدور الناس ، فإذا ذكر الله خنس ، وقيل : إن له رأساً كراس الحية يجثم على القلب ، فإذا ذكر الله العبدُ تتخى وخنس ، وإذا ترك ذكر الله إلى القلب يوسوس ) (٢)

وبنية المبالغة " الخناس " تلبس الشيطان وصف التستر والتخفي عند الذكر بالمفارقة ثم عند المعاودة يتلبس بالطريقة نفسها " فهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك " (٣) فهذا دأبه وتلك عادته أعادنا الله منه .

**الثاني :** اللفظان الآخران معاً : بِنَاءٌ وَغَوَاصٌ

فقد وردا في آية واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴾ (٤)

( البِنَاءُ : الذي يَبْنِي وهو اسم فاعل مصوغ على زنة المبالغة للدلالة

على معنى الصناعة مثل نجار وقصار (٥) وحداد . والغَوَاصُ : الذي يغوص في البحر لاستخراج محار اللؤلؤ ، وهو أيضاً مما صيغ على وزن المبالغة للدلالة على الصناعة ) (٦) وقال ابن منظور : ( الغَوَاصُ : النزول تحت الماء ، وقيل : الغَوَاصُ : الدخول في الماء ، غاص في الماء غَوَاصاً ؛ فهو غائص غَوَاصٌ ) (٧) ويتحدث القرطبي عن فضل الله - عز وجل - على سليمان - عليه السلام بتسخير الجن له فيقول :

( " والشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ " أي وسخرنا له الشياطين ، وما سُخِّرَتْ لأحد قبله . " كُلِّ بِنَاءٍ " بدل من الشياطين أي كل بناء منهم ، فهم

(١) المفردات ٣٠٠ /

(٢) لسان العرب مادة ( خ . ن . س ) .

(٣) التسهيل ٢٢٧ / ٤

(٤) ص - ٣٧

(٥) المبييض للثياب

(٦) التحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٣ / ٢٦٦

(٧) لسان العرب مادة ( غ . و . ص ) .

بينون له ما يشاء " وغواص " يعني في البحر يستخرجون له الدرّ ، فسلیمان أول من استخرج له اللؤلؤ من البحر (١) .

## ٩ - ما ورد منها وصفاً للنار وأهلها

ورد من صيغة " فعّال " وصفاً للنار وأهلها ثلاثة ألفاظ هي :

غسّاق - لوّاحة - نزّاعة .

### الأول : غسّاق

ورد في القرآن مرة واحدة بلفظ " غسّاق " في قوله تعالى : ﴿ هذا فليذوقوه حميم ﴾ (٢) وورد مرة أخرى بلفظ " غساقاً " في قوله تعالى : " لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً " (٣) .

( الغسّاق : ما يقطرُ من جلود أهل النار ) (٤) وقال ابن منظور : ( الغسّاق ... ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم ؛ وقيل : ما يسيلُ من دموعهم ؛ وقيل ... المُنْتِن البارد الشديد البرد الذي يُحرق من برّده كإحراق الحميم ) (٥) وقال القرطبي : (( هو اسم فاعل نقل إلى فعّال للمبالغة ، نحو ضرب ، وقتل وهو فعّال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق . قال ابن عباس : هو الزمهرير يخوفهم ببرده وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده . وقال غيرهما : إنه يحرق ببرّده كما يحرق الحميم بحرّه )) (٦)

### الثاني : لوّاحة :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ لوّاحةٌ للبشر ﴾ (٦)

(١) القرطبي ٨ / ٥٨٤٨

(٢) ص / ٥٧

(٣) النبا / ٢٤ ، ٢٥

(٤) المفردات / ٦٠٦

(٥) لسان العرب مادة ( غ . س . ق ) .

(٦) القرطبي ٨ / ٥٨٦٣ ، ٥٨٦٤

(٧) المدثر / ٢٩

( قال الزجاج في قوله عز وجل : ﴿لَوْأَحَهُ لِلبشَرِ﴾ أي تحرق الجلد حتى تُسَوِّدَهُ ، يقال لاحه ولوأحه . ولوأحت الشيء بالنار : أحميته ) (١)

وقال الزمخشري : ( من لوح الهجير ... قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادًا من الليل ) (٢)

وربما دل اللفظ على أنها تظهر للناس من مسيرة خمسمائة عام ، وذلك لعظمتها وهولها وزجرها (٣) .

### الثالث : نزاعة :

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (٤)

الشوى : الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتبتكها ثم تعاد مرة أخرى (٥) " وقال الضحَّاك : تقري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئًا " (٦) ياله من مشهد في تصور نزع الأطراف ، واقتلاع جلود الرعوس أضف إلى ذلك قرع لفظة " نزاعة " الذي يمنح المتلقي وجوهًا من التخيل في الشكل المقزع المتكرر ، وما ظنك بالكافر حين تتراءى له النار بتلك المشاهد فما إخاله إلا هاربًا ساعتها يبين لنا النظم القرآني العالي دعوة النار له وقد همَّ بالفرار ﴿ تدعو من أدبر وتولى \* وجمع فأوعى ﴾ (٧) إذ تلتهم النارُ الناسَ كما تلتهمُ الفريسة.. تدعوهم بلسان فصيح : إلى يا فاجر ! إلى يا فاسق ! عنْدنْذِ ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه \* وصاحِبتهِ وأخيه \* وفصِيلته التي تُوِيه \* ومن في الأرض جميعًا ثم يُنجيه ﴾ (٨)

(١) لسان العرب مادة (ل . و . ح) .

(٢) الكشاف ١٥٩ / ٤

(٣) انظر البحر المحيط ٣٦٧ / ٨

(٤) المعارج / ١٥ ، ١٦

(٥) انظر الكشاف ١٣٩ / ٤ ، والتسهيل ١٤٧ / ٤ ، الصادوي على الجلالين ٢١٠ / ٤

(٦) القرطبي ٧٠١٤ / ١٠

(٧) المعارج / ١٢ ، ١٨

(٨) المعارج / ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

## ١٠ - ما ورد منها لمعانٍ شتى

ورد من صيغة " فعَّال " لهذه المعاني ستة ألفاظ هي :

ثَجَّاجًا - السَّيَّارَة - طَوَّافون - ليس بظلام - قَوَّامون - وَهَّاجًا

### الأول : ثَجَّاجًا

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ (١)

( الثَّجَّجُ : الصَّبُّ الكثير ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ صَبًّا الماء الكثير ...  
وثجيج الماء : صوت انصبابه ... وماء ثجوج وثجَّاج : مصبوب ) (٢)  
فالماء الثجَّاج هو الماء الكثير المتتابع سريع الاندفاع (٣)

### الثاني : السَّيَّارَة .

ورد في القرآن ثلاث مرَّات (٤)

السَّيَّارَة : جمع سَيَّار ، وهو الكثير السير في الأرض للتجارة وغيرها (٥)

وفي يوسف ثَمَّةٌ نَكْتَةٌ لطيفة من جَرَاءِ بنية المبالغة " السَّيَّارَة " ؛ إذ هم قومٌ - في العادة - تُجَّارٌ رُحَّالٌ يأتون من أماكن بعيدة ، وعند عثورهم على يوسف في الجب وأخذهم معهم ، يكونون قد أسدوا إلى أخوة يوسف خدمةً جلييلةً في إيعاده كليليةً عن أبيهم ( حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم فربما لا يأذن لهم أبوهم وربما يطلع على قصدهم ) (٦)

(١) النبا/ ١٤

(٢) لسان العرب مادة (ث . ج . ج) .

(٣) انظر القرطبي ١٠ / ٧٢١٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٠٤ ، والتسهيل ٤ / ١٧٣

(٤) هي قوله تعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة ﴾ المائدة/ ٩٦

وقوله تعالى : ﴿ وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ﴾ يوسف/ ١٠

وقوله تعالى : ﴿ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ﴾ يوسف/ ١٩

(٥) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ ، والتسهيل ٢ / ١١٥

(٦) القرطبي ٤ / ٣٤٥٤

### الثالث : طَوَّافُونَ .

ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١)

الطَوَّافُونَ هم الخدم والمماليك (٢)

وبنية المبالغة دالة "على كثرة المضيي والمجيء ، ومسيس الحاجة إلى المخالطة والمداخلة مما أوجب رفع الحرج ، وإياحة العذر في ترك الاستئذان .

### الرابع : ليس بظلام .

ورد في القرآن الكريم خمس مرات (٣)

" الظلم : وضع الشيء في غير موضعه (٤)

ويبدو أن هناك شبهة عند البعض في أن نفي الكثير لا يقتضي نفي القليل .

قال العكبري : ( " ظلام " : من الظلم ، فإن قيل : بناء فعّال للتكثير ولا يلزم من نفي الظلم الكثير نفي الظلم القليل ، فلو قال : بظالم لكان أدل على نفي الظلم قليله وكثيره ) (٥) وقد أجاب بأوجه كثيرة لعل أهمها : ( أن ظلام هنا للكثرة ؛ لأنه مقابل للعباد ، وفي العباد كثرة وإذا قيل بهم الظلم كان كثيرًا ) (٦)

(١) النور / ٥٨

(٢) انظر لسان العرب مادة ( ط . و . ف ) ، والبحر المحيط ٤٢٣ / ٦

(٣) هي قوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ آل عمران / ١٨٢

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ الأنفال / ٥١

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ الحج / ١٠

وقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فصلت / ٤٦

وقوله تعالى : ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ ق / ٢٩

(٤) لسان العرب مادة ( ظ . ل . م ) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري - تحقيق على محمد البجاوي

دار الجيل ، بيروت ، ط الثانية ١٩٨٧ م ١ / ٣١٦

(٦) التبيان ١ / ٣١٦

وقريب" من هذا ما ذكره " أبو السعود " : ( وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده ، وظالم لعبيده على أنها للمبالغة كما لا كيفاً ) (١)

### الخامس : قَوَامُونَ .

ورد هذا اللفظ - مرفوعاً - " قَوَامُونَ " في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (٢)

وورد - منصوباً - " قَوَّامِينَ " في القرآن في موضعين : الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣)

والآخر : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (٤)

الرجال قَوَّامُونَ : قوام بناء مبالغة من القيام على الشيء ؛ فالرجال مُتَكَفِّلُونَ بأمور النساء ، مَعْنِيُونَ بشئونهن (٥)

وبنية " قَوَّامِينَ " وهي تعني مجتهدين في إقامة العدل حتى لا يكون منهم جور " ما وهذا من دلالات صيغة المبالغة للكلمة (٦)

### السادس : وَهَّاجًا .

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى :

(١) أبو السعود ١٢٢ / ٢

(٢) النساء / ٣٤

(٣) النساء / ١٣٥

(٤) المائدة / ٨

(٥) انظر التسهيل ١٤٠ / ١ ، ولسان العرب مادة ( ق . و . م ) . وفي صيغة " قَوَّامُونَ " دلالة على تفضيل الرجال على النساء ، وليس ما يُرَوَّج له من المساواة بينهما ، فقد خصَّ اللهُ - عز وجل - الرجال بالجمعة ، والجماعة ، والنفقة على النساء ، وحلَّ الأربع ، وملك النكاح والطلاق ، والرجعة ، وكمال العبادات ، والتعصيب في الميراث ، والدييات والصلاحيات للنسوة ، والخلافة ، والإمامة ، والخطابة ، والجهاد ، والرمي ، والأذان ، والاعتكاف ، وانتساب الأولاد .... إلخ ، وليس في ذلك تنقيصٌ لحق المرأة ، وإنما أمر الله - عز وجل - كلَّ جنسٍ بما يناسب الدور المنوط به .

(٦) انظر البحر المحيط ٣ / ٢٨٤ ، والتسهيل ١ / ١٦٠

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾ (١) (الوهج : حصول الضوء والحر من النار ... " وجعلنا سراجًا وهَّاجًا أي مضيئًا " (٢)

وقال الزمخشري : ( " وهَّاجًا " متلألئًا وقادًا يعني الشمس ، وتوهجت النار إذا تلمَّطت ، فتوهجت بضوئها وحرَّها ) (٣) وبَيَّنَّ " أن وصف الشمس بالسراج الوهَّاج منح الشمس ذاتية الإضاءة ، واستمرارها على ذلك أبدًا حتى يأتي وعد الله - عز وجل .

### ملاحظات على صيغة فَعَّال

١- ورد عدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم أربعين مرة وهي بهذا تعد أعلى صيغة من صيغ المبالغة ورد لها أمثلة في القرآن الكريم .

٢- جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

- (١) ما ورد منها اسمًا أو صفة لله - عز وجل - : عشرة أمثلة .
- (٢) ما ورد منها وصفًا للأنبياء : مثالان .
- (٣) ما ورد منها وصفًا للمؤمنين : مثال " واحد " .
- (٤) ما ورد منها وصفًا للجنة : مثال " واحد " .
- (٥) ما ورد منها وصفًا للنفس : مثالان .
- (٦) ما ورد منها وصفًا لليهود : مثالان .
- (٧) ما ورد منها وصفًا للعصاة والكافرين : عشرة أمثلة .
- (٨) ما ورد منها وصفًا للجن والشياطين : ثلاثة أمثلة .
- (٩) ما ورد منها وصفًا للنار وأهلها : ثلاثة أمثلة .
- (١٠) ما ورد منها لمعانٍ شتى : ستة أمثلة .

(١) النبا / ١٣ .

(٢) المفردات / ٨٨٥ .

(٣) الكشاف / ٤ / ١٧٧ .

٣- لفظ " صَبَّار " ليس من أسماء الله ، وإنما الذي من أسماء الله " الصبور " ، و" الصبور " لم يرد في كتاب الله عز وجل ، وإنما الذي ورد في الحديث الشريف ، قوله صلى الله عليه وسلم : " لا أحد أصبر من " الله " (١)

### ( ٢ ) صيغة فَعِيل

وردت صيغة " فعيل " في القرآن الكريم من خلال نماذج متعددة حوت دلالات مختلفة ، أعظمها تضمنها لأسماء الله وصفاته ، كما جاءت وصفاً للنفس ، والعصاة ، والشياطين ، وجاءت لمعانٍ أخرى ويمكن دراسة هذه الصيغة على النحو الآتي :

- ١- ما ورد منها اسماً أو صفةً لله — عز وجل .
- ٢- ما ورد منها وصفاً للأنبياء .
- ٣- ما ورد منها وصفاً للنفس .
- ٤- ما ورد منها وصفاً للعصاة والكافرين .
- ٥- ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين .
- ٦- ما ورد منها وصفاً للنار وما فيها .
- ٧- ما ورد منها لمعانٍ شتى .

---

(١) منقول عليه .

## ١- ما ورد منها اسماً أو صفة لله - عز وجل .

ورد من أسماء الله - تعالى - وصفاته من هذه الصيغة سبعة " وعشرون اسماً هي : البصير (١) - الحسيب (٢) - الحفيظ (٣) - الحفي (٤) - الحكيم (٥) - الحلِيم (٦) - الحميد (٧) - الخبير (٨) - الرحيم (٩) - رفيع الدرجات (١٠) - الرقيب (١١) - السميع (١٢) -

- (١) ورد لفظ " بصير " في القرآن الكريم ستاً وثلاثين مرة ووردت كلها في أسماء الله عدا : الأنعام / ٥٠ ، وهود / ٢٤ ، والرعد / ١٦ ، وقاطر / ١٩ ، وغافر / ٥٨ وورد بلفظ " بصيراً " خمس عشرة مرة ، ووردت في أسماء الله عدا : يوسف / ٩٣ ، ٩٦ وطه / ١٢٥ والإنسان / ٢ .
- (٢) ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات هي : في النساء / ٦ ، ٨٦ والإسراء / ١٤ والأحزاب / ٣٩ ، ووردت في أسماء الله عدا الإسراء / ٤٤ .
- (٣) ورد هذا الاسم في القرآن الكريم بلفظ " حفيظ " ثماني مرات هي : الأنعام / ١٠٤ ، وهود / ٥٧ ، ٨٦ ويوسف / ٥٥ وسبأ / ٢١ والشورى / ٦ وق- / ٤ ، ٣٢ ، ورد منها فقط في أسماء الله في هود / ٥٧ ، سبأ / ٢١ ، والشورى / ٦ وورد بلفظ " حفيظاً " ثلاث مرات في النساء / ٨٠ والأنعام / ١٠٧ والشورى / ٤٨ ، ووردت في غير أسماء الله تعالى .
- (٤) ورد هذا الاسم في القرآن الكريم بلفظ " حفي " مرة واحدة في الأعراف / ١٨٧ في غير أسماء الله تعالى ، ولفظ " حفيماً " مرة واحدة في مريم / ٤٧ وهو اسم من أسماء الله عز وجل .
- (٥) ورد بلفظ " حكيم " إحدى وثمانين مرة ، كلها في أسماء الله تعالى عدا لقمان / ٢ ، يس- / ٢ ، الزخرف / ٤ ، الدخان / ٤ ( انظر المعجم المفهرس / ٢٦٢ وما بعدها وورد بلفظ " حكيماً " ست عشرة مرة هي : النساء / ١١ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، والأحزاب / ١ والفتح / ٤ ، ٧ ، ١٩ والإنسان / ٣٠ كلها في أسماء الله عز وجل .
- (٦) ورد بلفظ " حلِيم " اثنتي عشرة مرة هي : في البقرة / ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٦٣ وآل عمران / ١٥٥ ، والنساء / ١٢ والمائدة / ١٠١ والتوبة / ١١٤ وهود / ٧٥ ، ٨٧ والحج / ٥٩ والصافات / ١٠١ والتغابن / ١٧ كلها في أسماء الله تعالى عدا التوبة / ١١٤ وهود / ٧٥ ، ٨٧ والصافات / ١٠١ ولفظ " حلِيماً " ثلاث مرات في : الإسراء / ٤٤ والأحزاب / ٥١ وقاطر / ٤١ وكلها في أسماء الله عز وجل .
- (٧) ورد بلفظ " حميد " ست عشرة مرة هي : في البقرة / ٢٦٧ وهود / ٧٣ وإبراهيم / ١ ، ٨ والحج / ٢٤ ، ٦٤ ولقمان / ١٢ ، ٢٦ وسبأ / ٦ وقاطر / ١٥ وقصص / ٤٢ والشورى / ٢٨ والحديد / ٢٤ والممتحنة / ٦ والتغابن / ٦ والبروج / ٨ كلها ووردت في أسماء الله ولفظ " حميداً " ورد مرة واحدة في النساء / ١٣١ وهو اسم من أسماء الله .
- (٨) ورد بلفظ " خبير " ثلاثاً وثلاثين مرة كلها في أسماء الله عز وجل ، ولفظ " خبيراً " اثنتي عشرة مرة كلها في الأسماء الحسنی عدا قوله تعالى " الرحمن فاسأل به خبيراً " الفرقان / ٥٩ ، فقد احتمل أن يكون اسماً من أسماء الله إذا كان النصب على الحالية واحتمل أن يكون وصفاً للمسئول إذا كان النصب على المفعولية انظر التسهيل ٣ / ٨١ .
- (٩) ورد بلفظ " رحيم " خمسا وتسعين مرة ، كلها في أسماء الله تعالى عدا التوبة / ١٢٨ ، ولفظ " رحيماً " عشرين مرة ، كلها في أسماء الله ولفظ " رحماء " مرة واحدة في الفتح / ٢٩ .
- (١٠) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " رفيع الدرجات ذو العرش " غافر / ١٥ .
- (١١) ورد بلفظ " رقيب " ثلاث مرات في " المائدة / ١١٧ { في أسماء الله } وهود / ٩٣ وق- / ١٨ في غير أسماء الله ولفظ " رقيباً " مرتين هما : النساء / ١ ، والأحزاب / ٥٢ وكلتاها في أسماء الله .
- (١٢) ورد بلفظ " سميع " ثلاثاً وأربعين مرة كلها في أسماء الله عدا هود / ٢٤ ، ولفظ " سميعاً " أربع مرات كلها في أسماء الله عدا الإنسان / ٢

الشهيد<sup>(١)</sup> - العزيز<sup>(٢)</sup> - العظيم<sup>(٣)</sup> - العليم<sup>(٤)</sup> - العلي<sup>(٥)</sup> -  
 القدير<sup>(٦)</sup> - القريب<sup>(٧)</sup> - الكبير<sup>(٨)</sup> - الكريم<sup>(٩)</sup> - اللطيف<sup>(١٠)</sup> -  
 المتين<sup>(١١)</sup> - المجيد<sup>(١٢)</sup> - المليك<sup>(١٣)</sup> - الوكيل<sup>(١٤)</sup> - الولي<sup>(١٥)</sup>

- (١) ورد بلفظ "شهير" ٩ مرات في أسماء الله تعالى وهي آل عمران/ ٩٨ ، والمائدة/ ١١٧ ، والأنعام/ ١٩ ، ويونس/ ٤٦ ، والحج/ ١٧ وسبأ/ ٤٧ ، وفصلت/ ٥٣ ، والمجادلة/ ٦ ، والبروج/ ٩ ، ٦ مرات في غير أسماء الله وهي : البقرة/ ٢٨٢ ، والنساء/ ٤١ ، وفصلت/ ٤٧ ، وق- ٢١/ ، ٢٧ ، والمائدة/ ٧ ، ولفظ "شهيداً" عشرين مرة منها إحدى عشرة مرة في أسماء الله هي : في النساء/ ٣٣ ، ٧٩ ، ١٦٦ ، والمائدة/ ١١٧ ، ويونس/ ٢٩ والرعد/ ٤٣ ، والإسراء/ ٩٦ ، والعنكبوت/ ٥٢ ، والأحزاب/ ٥٥ ، والأحقاف/ ٨ والفتح/ ٢٨ وفي غير الأسماء الحسنى : في البقرة/ ٤٣ والنساء/ ٤١ ، ٧٢ ، ١٥٩ ، والنمل/ ٨٤ ، ٨٩ { موضعان } والحج/ ٧٨ ، والقصاص/ ٧٥ .
- (٢) ورد بلفظ "عزيز" ثنتين وتسعين مرة كلها في أسماء الله عدا التوبة/ ١٢٨ ، هود/ ٩١ ، يوسف/ ٣٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، إبراهيم/ ٢٠ وفاطر/ ١٧ وفصلت/ ٤١ والجن/ ٤٩ ، والقمر/ ٤٢ ولفظ "عزيزاً" سبع مرات كلها في أسماء الله عدا الفتح/ ٣ ولفظ الجمع "عزيزة" مرتين في المائدة/ ٥٤ والنمل/ ٣٤ .
- (٣) ورد بلفظ "عظيم" خمسة وثمانين مرة للوارد منها في الأسماء الحسنى ست مرات هي : في البقرة/ ٢٥٥ والشورى/ ٤ والواقعة/ ٧٤ ، ٩٦ والحاقة/ ٣٣ ، ٥٢ والباقي في غير الأسماء ، ولفظ "عظيماً" ثنتين وعشرين مرة ليس فيها من أسماء الله الحسنى شيء .
- (٤) ورد بلفظ "عليم" مئة وأربعين مرة كلها في الأسماء عدا : يوسف/ ٥٥ والحجر/ ٥٣ والشعراء/ ٣٤ والذاريات/ ٢٨ ولفظ "عليماً" ثنتين وعشرين مرة كلها في الأسماء الحسنى .
- (٥) ورد بلفظ "العلي" ثمانين مرة كلها في الأسماء الحسنى عدا الزخرف/ ٤ ولفظ "عليّاً" ثلاث مرات في النساء/ ٣٤ ومريم/ ٥٠ ، ٥٧ وآية النساء فقط هي من الأسماء الحسنى .
- (٦) ورد بلفظ "قدير" تسعاً وثلاثين مرة كلها في الأسماء الحسنى انظر المعجم المفهرس / ٦٤٦ ولفظ "قديراً" ست مرات كلها أيضاً في الأسماء الحسنى .
- (٧) ورد بلفظ "قريب" سبع عشرة مرة ، فقط منها في الأسماء الحسنى ثلاثة هي : البقرة/ ١٨٦ ، وهود/ ٦١ ، وسبأ/ ٥٠ ولفظ "قريباً" تسع مرات ليس فيها شيء من الأسماء الحسنى .
- (٨) ورد بلفظ "كبير" تسع عشرة مرة للوارد منها في الأسماء الحسنى : الرعد/ ٩ والحج/ ٦٢ ولقمان/ ٣٠ وسبأ/ ٢٣ وغافر/ ١٢ ، ولفظ "كبيراً" سبع عشرة مرة للوارد منها فقط في الأسماء الحسنى النساء/ ٣٤ .
- (٩) ورد بلفظ "كريم" ثلاثاً وعشرين مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : النمل/ ٤٠ والانفطار/ ٦ انظر المعجم المفهرس / ٧٠٦ ولفظ "كريمياً" أربع مرات ، ليس فيها شيء من الأسماء الحسنى .
- (١٠) ورد بلفظ "لطيف" ست مرات كلها في أسماء الله الحسنى هي : الأنعام/ ١٠٣ ويوسف/ ١٠٠ والحج/ ٦٣ ولقمان/ ١٦ والشورى/ ١٩ والملك/ ١٤ ولفظ "لطيفاً" ورد مرة واحدة في قوله تعالى : " إن الله كان لطيفاً خبيراً " الأحزاب/ ٣٤ .
- (١١) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات هي : قوله تعالى : " وأملي لهم إن كيدي متين " الأعراف/ ١٨٣ وقوله تعالى : " إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " الذاريات/ ٥٨ وقوله تعالى : " وأملي لهم إن كيدي متين " القلم/ ٤٥ .
- (١٢) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات هي : قوله تعالى : " إنه حميدٌ مجيدٌ " هود/ ٧٣ وقوله تعالى : " ق- والقرآن المجيد " ق- ١ وقوله تعالى : " ذو العرش المجيد " البروج/ ١٥ وقوله تعالى : " بل هو قرآن مجيدٌ " البروج/ ٢١ .
- (١٣) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " في مقعد صدق عند مليك مقتدر " القمر ٥٥ .
- (١٤) ورد بلفظ "وكيل" إحدى عشرة مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : آل عمران/ ١٧٣ والأنعام/ ١٠٢ وهود/ ١٢ ويوسف/ ٦٦ والقصاص/ ٢٨ والزمر/ ٦٢ ولفظ "وكيلاً" ثلاث عشرة مرة ، الوارد منها في الأسماء الحسنى : النساء/ ١٢٢ ، ١٧١ ، والإسراء/ ٦٥ والأحزاب/ ٣ ، ٤٨ ، والمزمل/ ٩ انظر المعجم المفهرس / ٨٥٢ .
- (١٥) ورد بلفظ "ولي" عشرين مرة كلها في الأسماء الحسنى عدا فصلت/ ٣٤ ولفظ "ولياً" ثلاث عشرة مرة كلها في الأسماء الحسنى ماعدا : النساء/ ٧٥ ، ١١٩ والكهف/ ١٧ ومريم/ ٥ ، ٤٥ والأحزاب/ ١٧ ، ٦٥ والفتح/ ٢٢ انظر المعجم المفهرس / ٨٥٥ .

## أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء :

أولاً : اسم الله " البصير " :

(( ابن الأثير : في أسماء الله تعالى " البصير " ، هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافئها بغير جارحة ، البصر عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمال نُعوت المُبصرات )) (١) .

ولفظ " بصير " بهذه الصيغة يدل على مدى تناهي إحاطة الله ، وإدراكه للخفيات ، والبواطن ، والأسرار ، كما أنه من جهة أخرى يعطي معنى " العالم بكنه الشيء الخبير به " (٢) .

فمهما عمل الإنسان من عمل ، فإن الله بصير " به من حيث مبتدئه ومنتهاه ، ومن حيث نية المرء فيه ، كذلك من جهة إخلاص العمل ، ومدى توجُّه القصد فيه إلى الله ، ومن هنا فإن الصيغة تحمل دلالات خفية بالوعيد ؛ إذ إن الأمر مادام على هذا النحو فينبغي تجويد العمل وإحسانه ؛ لأنه سيُعرض على " بصير " - سبحانه - كما جاء في الأثر " وأخلص العمل فإن الناقد بصير " .

ثانياً : اسم الله " الحسيب " .

في أسماء الله تعالى الحسيب ، فعيل " بمعنى مُفعل أو بمعنى " فاعل " حوّل للمبالغة في الحُسيبان (٣) .

(( وقال أبو إسحاق في قوله - عز وجل ... وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا )) : يكون بمعنى محاسباً ، ويكون بمعنى كافياً ، وقال في قوله تعالى : " إن الله كان على كل شيء حسيباً " أي يُعطي كلَّ شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يُحسبه أي يكفيه " (٤) .

(١) لسان العرب مادة ( ب . ص . ر ) .

(٢) أبو السعود ١ / ١٣٣

(٣) انظر لسان العرب مادة ( ح . س . ب ) والبحر ٣ / ١٨٢

(٤) لسان العرب مادة ( ح . س . ب ) .

ومن دلالات هذا الاسم العظيم أنه سريع الحساب ، وأسرع الحاسبين ، ومرجع كل محاسب ، وحساب ، ومجازٍ على عملٍ ، ومُثِيب على فعلٍ ، ومعاقب على ذنبٍ إنما إلى الله — عز وجل — وفيه إشارة بالوعيد إذا كان الأمر بهذه الحال فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تتجاوزوا ما حدَّ لكم ؛ فالحسيب في النهاية هو الله — سبحانه .

### ثالثاً : اسم الله " اللطيف " .

( اللطيف : صفة من صفات الله واسمٌ " من أسمائه ، وفي التنزيل العزيز : " الله لطيفٌ بعباده " (١) وفيه : " وهو اللطيف الخبير " (٢) ومعناه . والله أعلم الرفيق بعباده . قال أبو عمرو : اللطيف الذي يُوصَلُ إليك أربك في رفق ، واللفظ من الله — تعالى — التوفيق والعصمة ، وقال ابن الأثير في تفسيره : اللطيف هو الذي اجتمع له الرِّفْقُ في الفعل ، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه ) (٣) .

وقال الراغب الأصفهاني : ( قد يُعَبَّرُ باللطائف عما لا تدركه الحاسة ، ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه ، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور ، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم ... وقد يُعَبَّرُ عن التَّحَفِ المتوصل بها إلى المودة باللُّطْفِ ، ولهذا قال : " تهادوا تحابوا " (٤) وقد ألطف فلان " أخاه بكذا ) (٥) وقال ابن عاشور : ( وإن اعتبر " اللطيف " اسم فاعل من لطف — بفتح الطاء — فهو من أمثلة " المبالغة " يدلُّ على وصفه تعالى بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته ، وإتقان صنعه في ذلك وكثرة فعله ذلك ، فيدلُّ على صفة من صفات الأفعال وعلى هذا المعنى حمله سائر المفسرين والمبيِّنِينَ لمعنى اسمه " اللطيف " في عداد الأسماء الحسنی ) (٦)

(١) الشورى / ١٩

(٢) الأنعام / ١٠٣ ، والملك / ١٤

(٣) لسان العرب مادة ( ل . ط . ف ) .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٩٤

(٥) المفردات / ٧٤٠

(٦) التحرير والتنوير مجلد ٤ ٤١٧ / ٧

ومن فيوضات اسم الله " اللطيف " إيصال الإحسان إلى العباد من حيث لا يعلمون وَيُسَبَّب لهم المصالح والمنافع ، ويمنحهم المنن والعطايا من حيث لا يحسبون ؛ إذ لا يستشعر العبد إلا وهو ينقلب من حال إلى حال ويتقلب في رفق الله وعطائه ، وربما لا يتساءل : أنى لي كل هذا ولم أقدم ما يستوجب هذه العطايا وذلك من شدة اللطف وِدْقَة إيصال النعم ، وما ذلك إلا بمحض لطف اللطيف سبحانه !

## ٢- ما ورد منها وصفاً للأنبياء

ورد من صيغة " فعيل " - وصفاً للأنبياء ستة أمثلة : هي :

بشير - عصياً ( في سياق النفي ) - كظيم - المسيح - نذير - تقياً .

أولاً : بشير

ورد هذا اللفظ في القرآن بهذه الصيغة خمس مرات (١) ، وجاء بلفظ " بشيراً " أربع مرات (٢) .

( البشير : المُبَشِّر ) (٣) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ ﴾ (٤)

أي تُبَشِّرُ المؤمنين بالجنة ، وتُنذِر الكافرين بالنار ، وقد أشار أبوحيان إلى الحسن في صيغة المبالغة " بشير " وكذلك " نذير " كما فطن إلى لمح

- 
- (١) هي : قوله تعالى : " أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير " المائدة / ١٩ .  
 وقوله تعالى : " فقد جاءكم بشير " ونذير والله على كل شيء قدير " المائدة / ١٩ .  
 وقوله تعالى : " إن أنا إلا نذير " وبشير " لقوم يؤمنون " الأعراف / ١٨٨  
 وقوله تعالى : " ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير " وبشير " هود / ٢  
 وقوله تعالى : " قلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً " يوسف / ٩٦  
 (٢) هي : قوله تعالى : " إننا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً " البقرة / ١١٩  
 وقوله تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً " سبأ / ٢٨  
 وقوله تعالى : " إننا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا جاء فيها نذير " فاطر / ٢٤  
 وقوله تعالى : " بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون " فصلت / ٤  
 (٣) المفردات / ١٢٦  
 (٤) البقرة / ١١٩

المفارقة اللطيفة بين اللفظين فقال : ( عدل إلى فعيل للمبالغة ؛ لأن فعيلاً من صفات السجايا ، والعدل في " بشير " للمبالغة " مقيس عند سيبويه " إذا جعلناه من بشر ، لأنهم قالوا " بشر " مخففاً ، وليس مقيساً في " نذير " ؛ لأنه من أنذر ، ولعل مَحْسَن العدل فيه كونه معطوفاً على ما يجوز ذلك فيه ؛ لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع مايقابلها ما لايسوغ فيها لو انفردت ) (١) .

ثانياً : عصياً ( في سياق النفي ) :

ورد في القرآن الكريم مرتين هما : قوله تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تُعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (٣)

والآية الأولى فقط هي التي تدخل في مبحثنا بينما الآية الثانية ستأتي بعد في مبحث " فيما ورد وصفاً للجن والشياطين " .

فقد كان نبي الله يحيى - عليه السلام - برّاً بوالديه بما حباه الله وأيده في قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (٤)

هذا إضافة إلى أنه " لم يكن جبّاراً عصياً " قال أبو حيان : ( " ولم يكن جبّاراً " أي متكبّراً ، " عصياً " أي عاصياً ، كثير العصيان وأصله : عَصَوِي فعول للمبالغة ، ويحتمل أنه يكون فعيلاً وهي من صيغ المبالغة ) (٥)

وكما هو الشأن - دائماً - في نفي صيغة المبالغة - كما مر بنا في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِظُلَامٍ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٧)

(١) البحر المحيط ١ / ٥٢٨

(٢) مريم / ١٤

(٣) مريم / ٤٤

(٤) مريم / ١٣

(٥) البحر المحيط ٦ / ١٦٨ (٦) آل عمران / ١٨٢ (٧) مريم / ٦٤

إن النفي ليس مخصوصاً بنفي الكثرة وإثبات الأصل وإنما نفي الجميع  
قال الصاوي معقباً على كلام الجلالين : ( " قوله عاصياً لربه " أشار  
بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة ، بل المنفي أصل العصيان لا المبالغة  
فيه ) (١)

قد أوجز " الألوسي " هذا المعنى فقال : ( والمراد المبالغة في النفي لا  
نفي المبالغة ) (٢) .

ثالثاً : كظيم :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات (٣)

( رجل مكظوم وكظيم : مكروب " قد أخذ الغمُ بكظْمِهِ ) (٤)

وقال أبو حيان : " والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال  
" يعقوب " أي : شديد الكظم ، كما قال : " والكاظمين الغيظ " (٥)

ولم يشك " يعقوب " إلى أحد وإنما كان يكتمه في نفسه ، ويمسك همته  
في صدره ، فكان يكظمه ، أي : يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى ،  
والغضب والضجر ، إما أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، وهو لا يقاس ،  
وقاله قوم " كما قال في يونس : " إذ نادى وهو مكظوم " (٦) .

قال ابن عطية : وإنما يتجه على تقدير : إنه مليء بحزنه ، فكأنه كظم  
حزنه في صدره ، وفسر ناس " الكظيم بالمكروب وبالمكمود ، وروي أنه ما  
جفت عيناه من فراق يوسف إلى لقائه ثمانين عاماً ، وإن وجدته عليه وجد  
سبعين تكلي ، وأجره أجر مائة شهيد ) (٧) .

(١) الصاوي على الجلالين ٢٨ / ٣

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود  
الألوسي دار إحياء التراث العربي - ط الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ٧٣ / ١٦ .

(٣) هي قوله تعالى : " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " يوسف / ٨٤  
وقوله تعالى : " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم " النحل / ٥٨

وقوله تعالى : " ظل وجهه مسوداً وهو كظيم " الزخرف / ١٧  
على أن الموضع الأول فقط هو وصف لنبي الله " يعقوب " عليه السلام ، والموضعان الآخران  
خارجان عن مبحثنا .

(٤) لسان العرب مادة ( ك . ظ . م ) .

(٥) آل عمران / ١٣٤

(٦) القلم / ٤٨ (٧) البحر المحيط ٥ / ٢٢٢ ، ٢٣٤

ويحوي اللفظ بصيغة " المبالغة " دلالات التكتّم الشديد للحزن وهو في الوقت نفسه مشحون بمعانٍ حسية ما أسرعها في مُخيلة الإنسان العربي في بيئته العربية العريقة ؛ إذ اللفظ مأخوذ من " كظم السقاء " إذا شده بعد ملئه أو هو مأخوذ " من كظم الغيظ " إذا اجترعه ، وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه " (١) .

#### رابعاً : المسيح :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ (٣)

واختلف في المراد من هذا اللفظ على أقوال (٤) منها : أنه كان لا يمسح بيديه ذا عاهة إلا برئ ( فعلى هذا يكون " فعيل " مبنياً للمبالغة كعليم ويكون من الأمثلة التي حوّلت من " فاعل " إلى " فعيل " للمبالغة ) (٥) .

ولا ريب أن عطاء " اللفظ " { المسيح } مع اختلاف المراد يمنح المتلقي قدرًا من الثراء الدلالي الفياض ، وحيويةً في المفردات عزّ وجودها في ألفاظ اللغة وعناصرها الفاعلة دلاليًا مما يكشف في جلاء عن الكثرة الكاثرة لمنة الله - عز وجل - على عبده ورسوله عيسى بن مريم ، ومهما يكن من أمرٍ فقد كان عليه السلام ميمونًا ، محفوفًا بعناية الله خلقًا وتطهرًا وسعيًا في الأرض لنشر الدعوة ثم رفعًا بعد ذلك إليه - سبحانه - حتى أضحي هو وأمه معجزةً وآيةً للعالمين .

(١) البيضاوي ١ / ٤٩٣ ، وانظر روح المعاني ١٣ / ٤٠ ، ٤١  
(٢) هي : آل عمران / ٤٥ ، النساء / ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، والمائدة / ١٧ { موصوفان } ، ٧٢ { موصوفان } ، ٧٥ والتوبة / ٣٠ ، ٣١ .

(٣) آل عمران / ٤٥

(٤) من هذه الأقوال : أنه سمي المسيح ، لأنه مُسح بالبركة .. أو بالدهن الذي يمسح به الأنبياء ، أو للتطهير من الذنوب . أو المسحة من الأقدار التي تنال المولودين ويكون " فعيل " بمعنى " مفعول " ، أو لمسحه الأرض ولم يبق في موضع ، أو لأنه كان امسح الرجل وليس لرجله أخصص ، أو لأنه كان " مشوجًا " بالعبرانية ، فعرب ، فقيل : المسيح وكذا موسى كان موسى .

انظر البحر المحيط ٤٨٠ ، ٤٨١ وأبا السعود ٢ / ٣٦ ، ٣٧ والمحرم الوجيز ٢ / ٤٢١ ، ٤٢٢ والتحرير والتوير ٣ / ٢٤٦ ولسان العرب مادة ( م . س . ح ) . والمفردات ٧٦٧ /

(٥) البحر المحيط ٢ / ٤٨١

## خامساً : نذير :

ورد في القرآن بلفظ " نذير " إحدى وثلاثين مرة (١)

وبلفظ " نذيراً " اثنتي عشرة مرة (٢)

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣)

( والنذير : المُنذِر ويقع على كل شيء ، فيه إنذار " ؛ إنساناً كان أو غيره ) (٤)

وأعظم ما يُنذَر به الكافرون النار ، ولا يخفى ما ذكرته في " لفظ " بشير " من المفارقة الجليّة بين البشارة بالجنة والندارة بالنار .

وصيغة " نذير " للمبالغة من صفات السجايا (٥) .

## سادساً : تقيّاً :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات (٦)

منها قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (٧)

الوصف لنبيّ الله يحيى — عليه السلام فقد كان مجبولاً على التقوى وجيئاً بصيغة " تقيّاً " للدلالة على تمكنه في الوصف ( قال قتادة لم يهّم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا همّ بامرأة وقال ابن عباس : جعله متقيّاً لا يعدل به غيره ، وقال مجاهد : كان طعامه العشب المباح ، وكان للدمع في خديه مجارٍ بآئنة ) (٨) .

(١) انظر المعجم المقهرس ٧٨٧/

(٢) هي : البقرة / ١١٩ والإسراء / ١٠٥ والفرقان / ١ ، ٧ ، ٥١ ، ٥٦ والإحزاب / ٤٥ وسبأ / ٢٨ وقاطر / ٢٤ وفصلت / ٤ والفتح / ٨ والمدثر / ٣٦ .

(٣) البقرة / ١١٩

(٤) المفردات ٧٩٨/

(٥) انظر البحر المحيط ٥٣٨ / ١

(٦) هي : قوله تعالى : " وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا " مريم / ١٣

وقوله تعالى : " قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا " مريم / ١٨

وقوله تعالى : " تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا " . مريم / ٦٣  
والموضع الأول فقط المراد في المبحث .

(٨) البحر المحيط ١٦٨ / ٦

(٧) مريم / ١٣

هذه التقوى بهذا التميز في الصيغة ، والتحول عن صيغة " اسم الفاعل " إلى صيغة " المبالغة " إنما هي ثمرة منن الله وعطاياه على عبده ونبيه يحيى بن زكريا — عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — إذ قال عز من قائل : " وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا " (١) .

وهو الفهم في التوراة ، والفقہ في الدين عن ابن عباس ، وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال : " ما لِلْعَبْ خُلِقْنَا " ، وقيل النبوة ؛ لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه (٢) .

ومن هنا حَقَّ له أن يبلغ أعلى درجات السموِّ والرِّفعة وأسمى مقامات التقوى واليقين .

### ٣- ما ورد منها وصفًا للنفس

ورد من صيغة " فعيل " — وصفًا للنفس مثال " واحد " في القرآن الكريم بلفظ " خصيمًا " (٣) ومثالان بلفظ " خصيم " (٤) .

الخصيم : الكثير المخاصمة ، من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم أو بمعنى مخاصم كالخليط والجليس (٥) كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦) قال الزمخشري : ( فيه معنيان أحدهما : فإذا هو منطبق يجادل عن نفسه ، مكافح " للخصوم مبين " للحجة بعد ما كان نطفة " من مني جمادًا لا حسَّ به ، ولا حركة دلالةً على قدرته ، والثاني : فإذا هو خصيم لربه منكر " على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفًا للإنسان بالإفراط في الوقاحة ، والجهل ، والتماذي في كفران النعمة ) (٧) .

وهكذا الإنسان إما مجادل " منطبق ، مبين " للحجة ، مكافح "

- 
- (١) مريم/ ١٢
  - (٢) انظر الكشاف ٢ / ٤٠٧
  - (٣) في قوله تعالى : " ولا تكن للخاتنين خصيمًا " النساء/ ١٠٥
  - (٤) هما : قوله تعالى : " خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين " النحل/ ٤ وقوله تعالى : " أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين " يس/ ٧٧
  - (٥) انظر المفردات / ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٦٠
  - (٦) النحل/ ٤ ، ويس/ ٧٧
  - (٧) الكشاف / ١ / ٢٩٧

للخصوم وهذا وصف مدح ، مُشعر " بالامتنان في إعطاء القدرة على الاستدلال والبيان . وإما مخاصم كفار " ، جحود لخالقه ، مُنكر " لآلاء نعمه – سبحانه ! وهذا مقام ذم للكفر بالنعمة ، وتحويل منن الله في الإبانة إلى الخصومة واللجاج كما قال تعالى : " بل لجوا في عُتُوٍّ ونفور " (١)

فأضحت النعمة 'نقمة' ، وصار الزين شيئاً والمنال 'وبيلا' .

#### ٤- ما ورد منها وصفاً للعصاة والكافرين

ورد من صيغة " فعيل " - وصفاً للعصاة والكافرين مثالان هما :  
أثيم - غوي

#### الأول : أثيم :

ورد في القرآن الكريم ست مرات (٢) بلفظ " أثيم " كقوله تعالى :  
﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣)

وبلفظ " أثيمًا " مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا ﴾ (٤)

الأثيم : المبالغ في الإثم ، المنهمك في ارتكابه .

قال الألويسي في شرح آية البقرة : ( " أثيم " منهمك في ارتكابه .. واختيار صيغة المبالغة للتبويه على فظاعة أكل الربا ومستحله وقد ورد في شأن الربا وحده ما ورد فكيف حاله مع الاستحلال؟! أعاذنا الله تعالى من ذلك ) (٥)

#### المثال الآخر : غوي :

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦)

(١) الملك/ ٢١

(٢) في البقرة/ ٢٧٦، والشعراء/ ٢٢٠، والدخان/ ٤٤، والجاثية/ ٧، والقلم/ ١٢ والمطففين/ ١٢

(٣) البقرة/ ٢٧٦

(٤) النساء/ ١٠٧ (٥) روح المعاني ٣ / ٥٢ (٦) القصص/ ١٨

و الغويّ : شديد الضلالة ، كثير الإغواء ، ذلك لأنه تسبّب في قتل رجل أمس . وهو الآن يدعو موسى لقتال رجل . آخر ، وإنما قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب (١) .

## ٥- ما ورد منها وصفاً للجنّ والشياطين

ورد من صيغة "فَعِيل" - وصفاً للجنّ والشياطين مثالان هما :

عصياً - مرید

الأول : عصياً :

ورد في القرآن الكريم في موضعين الأول مرّ بنا في نفي هذه الصفة عن نبي الله يحيى - عليه السلام - في قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (٢)

والموضع الثاني : وهو المراد في مبحثنا هذا في قوله تعالى : ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٣) .

وهو إثبات هذه الصفة للشيطان حيث انطباعه على العصيان ، وتماديه في العتوّ والطغيان وأصل "عصياً" فعول للمبالغة ، ويحتمل أن يكون "فَعِيلًا" وهي من صيغ المبالغة (٤) .

المثال الآخر : مرید :

ورد في القرآن الكريم بلفظ "مریداً" مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (٥) .

وبلفظ "مرید" أيضاً ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٦) .

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ١٠٦ ، وأبنا السعود ٧ / ٧ ، والقرطبي ٧ / ٥١٥١

(٢) مریم/ ١٤

(٣) مریم/ ٤٤

(٤) انظر البحر المحيط ٦ / ١٦٨

(٥) النساء/ ١١٧ (٦) الحج/ ٣

و( المرید : في شياطين الإنس والجن ، وقد تمرّد علينا أي عتا ،  
ومرّد على الشر وتمرّد ، أي عتا وطغى ، والمرید : الخبيث المتمرّد  
الشرير . وشيطان " مارذ " ومرید " واحد . قال ابن سيده : والمرید يكون  
من الجن والإنس وجميع الحيوان ) (١)

في الصاوي على الجلالين : ( مریدًا : أي متمرّدًا بمعنى بلغ الغاية  
في العتوّ والفجور لخروجه عن طاعة ربه حتى أمر الناس بعبادة غير  
الله ) (٢) .

## ٦- ما ورد منها وصفًا للنار

ورد من صيغة " فعيل " - وصفًا للنار لفظ " واحد هو " حميم " حيث ورد في القرآن الكريم بلفظ " حميم " سبع عشرة مرة (٣) .

وبلفظ " حميمًا " ورد ثلاث مرات (٤) .

ولفظ " الحميم " له ثلاثة معان :

- الحميم : القريب . - والحميم : الماء شديد الحرارة .

- والحميم : المطر الذي يأتي في الصيف حين تسخن الأرض (٥) .

وجاء في القرآن الكريم بالمعنيين الأولين فقط ، والمراد - هنا - في هذا المبحث المعنى الثاني إذ هو وصف " لشدة حرارة هذا الماء الذي بلغ من الغليان الدرجة التي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم حتى قيل (( إذا دنا منهم ( هذا الماء المستعر ) شوى وجوههم ، وانمارت قروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم )) (٦) .

(١) لسان العرب مادة ( م . ر . د ) .

(٢) الصاوي على الجلالين ٢١٤ / ١

(٣) هي في الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والحج ١٩ والشعراء ١٠١ والصفوات ٦٧ وص- ٥٧ وغافر ١٨ ،

٧٢ وفصلت ٣٤ والدخان ٤٦ ، ٤٨ والرحمن ٤٤ والواقعة ٤٢ ، ٥٤ ، ٩٣ والحاقة ٣٥

والمعارج / ١٠ انظر المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي / ٢٦٩ .

(٤) هي في محمد / ١٥ والمعارج / ١٠ والتبا / ٢٥

(٥) انظر لسان العرب مادة ( ح . م . م ) .

(٦) أبو السعود ٩٦ / ٨

## ٧- ما ورد منها لمعان شتى

ورد من صيغة " فَعِيل " لهذه المعاني : أربعة ألفاظ هي :

الأمين - بليغاً - نسيّاً - نصيراً .

الأول : الأمين :

ورد في القرآن الكريم أربع عشرة مرة (١) كما قال تعالى : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ (٢)

الصيغة للمبالغة ، أي آمن " مَنْ فِيهِ ، وَمَنْ دَخَلَهُ وَمَافِيهِ مِنْ طَيْرٍ وَحَيَوَانٍ أَوْ مِنْ أَمْنِ الرَّجْلِ أَمَانَةٌ " فهو أمين ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه ؛ لأنه مأمون الغوائل (٣) .

الثاني : بليغاً :

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (٤)

قال ابن منظور : ( البلاغة : الفصاحة . والبَلِّغُ والبَلِّغُ : البليغ من الرجال ، ورجلٌ " بليغٌ " وبلِّغٌ " وبلِّغٌ " : حَسَنُ الْكَلَامِ فَصِيحُهُ يَبْلِّغُ بِعِبَارَةٍ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ ) (٥) فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَبَالِغَ فِي وَعْظِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَنْ يَبْذُلَ قُصَارَى جَهْدِهِ فِي تَخْوِيفِهِمْ وَزَجْرِهِمْ ، عَسَى أَنْ يَتَغَلَّغَلَ فِي نَفْسِهِمْ هَذَا الْقَوْلُ الْمُؤَثِّرُ الْبَلِيغُ فَيُرْتَدِعُوا ، وَيُرْعَوُوا وَأَنْ يُخْبِرَهُمْ " أَنْ مَا فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الدَّغْلِ وَالنَّفَاقِ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْهُ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَمَا هَذِهِ الْمَكَافَةُ إِلَّا لِإِظْهَارِكُمْ الْإِيمَانَ وَإِسْرَارِكُمُ الْكُفْرَ ، وَإِضْمَارِهِ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ مَا تَكْشِفُونَ بِهِ غَطَاءَكُمْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا السَّيْفُ ) (٦) .

(١) هي في الأعراف/ ١٨ ويوسف/ ٥٤ والشعراء/ ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٩٣ والنمل/ ٢٩ والقصاص/ ٢٦ والدخان/ ١٨ ، ٥١ والتكوير/ ٢١ والتين/ ٣ .

(٢) التين/ ٣

(٣) انظر البحر المحيط ٤٨٦ / ٨

(٤) النساء/ ٦٣ (٥) لسان العرب مادة ( ب . ل . غ ) (٦) الكشاف ٢٧٧ / ١

### الثالث : نَسِيًّا :

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (١)

قال ابن منظور : ( النَّسِيَّ : الكثير النسيان ، يكون فعيلاً وفعولاً وفعيلاً " أكثر ... وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي لا يَنْسَى شَيْئًا . قال الزجاج : وجائز أن يكون معناه - والله أعلم - ما نسيك ربك يا محمد ، وإن تأخر عنك الوحي (٢) .

وقال ابن عاشور : ( " نَسِيًّا " صيغة مبالغة من نَسِيَ ، أي : كثير النسيان أو شديده ... فيتعين صرف المبالغة إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله ، أي تحقيق نفي النسيان مثل المبالغة في قوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فهو هنا كناية عن إحاطة علم الله . أي أن نتزلنا بأمر الله لما هو وفق علمه وحكمته في ذلك ، فنحن لا نتزل إلا بأمره وهو لا يأمرنا بالنتزل إلا عند اقتضاء علمه وحكمته أن يأمرنا به (٣)

### الرابع : نصيراً :

ورد في القرآن الكريم بلفظ " نصير " إحدى عشرة مرة (٤) .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نُورٍ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٥)

وورد بلفظ " نصيراً " ثلاث عشرة مرة (٦) .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ (٧)

(١) مريم / ٦٤

(٢) لسان العرب مادة ( ن . س . ي ) .

(٣) التحرير والتنوير مجلد ٨ / ١٦ / ١٤٠

(٤) هي في البقرة / ١٠٧ ، ١٢٠ ، والأنفال / ٤٠ ، والتوبة / ٧٤ ، والحج / ٧١ ، ٧٨ ، والعنكبوت /

٢٢ وفاطر / ٣٧ والشورى / ٨ ، ٣١

(٥) البقرة / ١٠٧

(٦) هي في النساء / ٤٥ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، والإسراء / ٧٥ ، ٨٠ ، والفرقان /

٣١ والأحزاب / ١٧ ، ٦٥ ، والفتح / ٢٢

(٧) النساء / ٤٥

قال أبو حيان في قوله تعالى : ﴿ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أتى بصيغة ولي وهو : فعيل للمبالغة ... وأتى بنصير على وزن فعيل لمناسبة ولي في كونهما على فعيل ، ولمناسبة أواخر الآي ؛ ولأنه أبلغ من فاعل ( ١ ) .

وقال ابن منظور : ( النصير : فعيل " بمعنى فاعل أو مفعول لأن كل واحد من المتناصرين ناصر " ومنصور ) ( ٢ ) .

ومن اللفظات البلاغية في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ( ٣ ) تكرر قوله : " كفى بالله " وكذا تحول السياق من " ولي " إلى " نصير " أما تكرر قوله " كفى بالله " ففيه مبالغة كما أشار ابن جزي الكلبى ( ٤ ) والظاهر أنه يعني التكتيف المتبعث من التكرار في تركيز الدلالة حول معنى الكفاية بالله مع ما يتضمنه ذلك من العبد من تمام التفويض والتصديق ، وإنشاء الثقة الناجم من صدق اللجأ إلى الله - سبحانه : فهو لفت " لطيف " من رب قادر عظيم لإنسان سرعان ما تتنازعه المخاوف والأوهام ؛ بل ربما يصل الأمر في النهاية إلى التهديدات والتحذيرات ، وهنا وجب الركون إلى القوي المتين صدقاً لقول العبد اليومي المتكرر " إياك نستعين " .

أما التحول في السياق من " ولي " إلى " نصير " فذلك لما بين اللفظين من فرق " فالولي قد يضعف عن النصر ، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ) ( ٥ ) .

### ملاحظات على صيغة " فعيل "

١- ورد عدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم تسعاً وثلاثين مرة وهي بهذا تعد ثاني أعلى صيغة من صيغ المبالغة بعد " فعَّال " ورد لها أمثلة في القرآن الكريم .

(١) البحر المحيط ٥١٥ / ١

(٢) لسان العرب مادة ( ن . ص . ر ) .

(٣) النساء / ٤٥

(٤) انظر التسهيل ١٤٤ / ١

(٥) البيضاوي ٨١ / ١ وانظر الصاوي على الجلائن ٤٨ / ١

٢- جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

(١) ما ورد منها اسماً أو صفةً لله - عز وجل : أربعة وعشرون مثالاً .

(٢) ما ورد منها وصفاً للأنبياء : ستة أمثلة .

(٣) ما ورد منها وصفاً للنفس : مثال " واحد " .

(٤) ما ورد منها وصفاً للعصاة والكافرين : مثالان .

(٥) ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين : مثالان { إحداهما صيغة مكررة } .

(٦) ما ورد منها وصفاً للنار وما فيها : مثال " واحد " .

(٧) ما ورد منها لمعانٍ شتى : أربعة أمثلة .

والتألفت في هذه النقاط أن اسم الله - عز وجل - مازال الأعلى نسبةً في أمثلة صيغة " فعيل " ، بل الأعلى نسبةً في كل صيغة المبالغة .

في الوقت الذي غابت عن هذه الصيغة بعض الأوصاف التي وجدناها في صيغة " فعَّال " مثل وصف المؤمنين ووصف الجنة ووصف اليهود .

٣- صيغة " فعيل " من الصيغ التي تستخدم بمعنى " فاعل " أو بمعنى " مفعول " .

من الأمثلة التي استخدمت بمعنى فاعل : قدير وسميع وعليم .

ومن الأمثلة التي استخدمت بمعنى مفعول : " المسيح " بمعنى الممسوح أي المدهون أو الممسوح من الذنوب ... إلخ .

ومن الأمثلة التي استخدمها المفسرون بالمعنيين : " الأمين " بمعنى  
" الأمن " و " المأمون " (١) ، وكذلك لفظ " كظيم " استعمل بمعنى  
" فاعل " " كاظم " أي المشتغل على الحزن كقوله تعالى : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ  
الْغَيْظِ ﴾ (٢)

واستعمل بمعنى " مفعول " " مكظوم " أي المملوء من الحزن (٣) .

٤- لفظ " نصير " ليس من أسماء الله ، وإنما من أسماء الله " الولي " وهو اسم يتضمن من معانيه " النصير " .

٥- لفظ " عَصِيًّا " جاء في سياقين ، سياق النفي في نفي الصفة عن  
نبي الله يحيى - عليه السلام - . في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا  
عَصِيًّا ﴾ (٤)

وفي سياق الإثبات في إثباتها للشيطان - لعنه الله ، في قوله تعالى :  
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (٥)

٦- كلمة " حميم " من المشترك اللفظي وله ثلاثة معان - كما مرَّ  
أنفًا .

(١) انظر البحر ٨ / ٤٨٦

(٢) آل عمران / ١٣٤

(٣) انظر القرطبي ٥ / ٣٥٨٣

(٤) مريم / ١٤

(٥) مريم / ٤٤

### ( ٣ ) صيغة فعول

وردت لصيغة " فعول " في القرآن الكريم نماذج متعددة ذات دلالات مختلفة على النحو الآتي :

- (١) ما ورد منها اسماً أو صفة لله - عز وجل .
- (٢) ما ورد منها وصفاً للأنبياء .
- (٣) ما ورد منها وصفاً لليوم الآخر .
- (٤) ما ورد منها وصفاً للتوبة .
- (٥) ما ورد منها وصفاً للماء .
- (٦) ما ورد منها وصفاً للنفس .
- (٧) ما ورد منها وصفاً للباطل .
- (٨) ما ورد منها وصفاً للعصاة .
- (٩) ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين .
- (١٠) ما ورد منها وصفاً لمعانٍ آخر .

١- ما ورد منها اسماً أو صفة لله - عز وجل .

ورد من أسماء الله - عز وجل - وصفاته من هذه الصيغة خمسة أسماء هي : الرعوف (١) - الشكور (٢) - العفو (٣) -

- 
- (١) ورد لفظ " رعوف " في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة هي : البقرة/ ١٤٣ ، ٢٠٧ وآل عمران/ ٣٠ والتوبة/ ١١٧ ، ١٢٨ والنحل/ ٤٧٧ والحج/ ٦٥ والنور/ ٢٠ والحديد/ ٩ والحشر/ ١٠ كلها وردت في أسماء الله عدا التوبة/ ١٢٨ جاءت وصفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
  - (٢) ورد لفظ " شكور " في القرآن الكريم تسع مرات هي : إبراهيم/ ٥ ولقمان/ ٣١ وسبأ/ ١٣ ، ١٩ وفاطر/ ٣٠ ، ٣٤ والشورى/ ٢٣ ، ٢٣ والتغابن/ ١٧ لم يرد منها اسماً لله إلا في أربعة مواضع هي فاطر/ ٣٠ ، ٣٤ والشورى/ ٢٣ والتغابن/ ١٧
  - (٣) ورد لفظ " عفو " مرتين : في الحج/ ٦٠ والمجادلة/ ٢ ولفظ " عفواً " ثلاث مرات : كلها في النساء/ ٤٣ ، ٩٩ ، ١٤٩ وكلها في الأسماء الحسنى .

— غفوراً<sup>(١)</sup> — ودود<sup>(٢)</sup> .

## أثر المبالغة في بعض هذه الأسماء

أولاً : اسم الله " الرعوف " :

وجاءت المواضع كلها يقترن فيها اسم الله " الرعوف " باسمه " الرحيم " كقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّاسِ لِرَعُوفٍ " رَحِيمٍ " ﴾<sup>(٣)</sup>

قال ابن منظور : ( الرأفة : الرحمة ، وقيل : أشدُّ الرحمة ... ومن صفات الله — عز وجل — الرعوف : وهو الرحيم لعباده ، العطوف عليهم بالطاقة ، والرأفة أخصُّ من الرحمة وأرق )<sup>(٤)</sup>

وذكر ابن عاشور الفرق بين الرأفة والرحمة فقال : ( الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾<sup>(٥)</sup> . وأما الرحمة فاسم " جامع " يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال ، والإنعام )<sup>(٦)</sup> .

ومن فيوضات اسم الله " الرعوف " إيانة فيض العطف على العباد بالطاقة ورأفته ، فما ألطف رحمة الله إذا قرنت برأفته ! وما أحوج العبد إذا كان الله — بعزته — رعوفاً به أن يرأف هو بعباد الله ، والأولى من ذلك أن يرأف بنفسه فلا يكلفها فوق الطاقة ، ولا يعرضها لما لا تطيق .

---

(١) ورد لفظ " غفور " في القرآن الكريم عشر مرات هي : الحديد/ ٢٨ ، المجادلة/ ٢ ، ١٢ ، والممتحنة/ ٧ ، ١٢ ، والتغابن/ ١٤ ، والتحريم/ ١ ، والملك/ ٢ ، والمزمل/ ٢٠ ، والبروج/ ١٤ ، وورد لفظ " غفوراً " عشرين مرة هي : النساء/ ٢٣ ، ٤٣ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، والإسراء/ ٢٥ ، ٤٤ ، والفرقان/ ٦ ، ٧٠ ، والأحزاب/ ٥ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ ، وفاطر/ ٤١ ، والفتح/ ١٤ .

(٢) ورد لفظ " ودود " في القرآن الكريم مرتين هما : هود/ ٩ ، والبروج/ ١٤ .

(٣) البقرة/ ١٤٣

(٤) لسان العرب مادة ( ر . أ . ف ) .

(٥) النور/ ٢

(٦) التحرير والتنوير ٢ / ٢٥

ثانيًا : اسم الله " الشكور " :

كقوله تعالى : ﴿ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) .

( الشكر : عرقان الإحسان ونشره " ، وهو الشكور أيضًا . قال ثعلب : الشكر لا يكون إلا عن يدٍ ، والحمد يكون عن يدٍ وعن غير يدٍ ، فهذا الفرق بينهما . والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل ... والشكور : من صفات الله ، جَلَّ اسمه ، معناه أن يزكو عنده القليل من أعمال العباد ، فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده مغفرته لهم . والشكور : من أبنية المبالغة ، وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وُظف عليه من عبادته ) (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣) . فيه تنبيه أن توفية الشكر لله أمر صعب ، ولذلك لم يُثن بالشكر على أوليائه إلا على اثنين ، قال في إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ ﴾ (٤)

وقال في نوح : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٥) وإذا وُصف الله بالشكر في قوله : ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٦) فإنما يُعنى به إنعامه على عباده وجزاؤه بما أقاموا من العبادة (٧) .

ولن يبلغ العبد أن يكون شكورًا إلا إذا قابل النعمة بشكرها باللسان والجنان والجراحة ، والشكر مثل الحمد بيد أن الحمد أعم منه ، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معرفته ، ولا تشكره إلا على معرفته دون صفاته (٨) .

(١) فاطر / ٣٠

(٢) لسان العرب مادة ( ش . ك . ر ) .

(٣) ميا / ١٣

(٤) النحل / ١٢١

(٥) الإسراء / ٣

(٦) التغابن / ١٧

(٧) انظر المفردات / ٤٦٢

(٨) انظر القول الأستى / ١٣٠

ومن معاني اسمه الشكور : أنه هو الذي يفتح أبواب جنته لمن مات على التوحيد الخالص وإن قلَّ عمله تفضلاً منه ورحمة ، فإن الموحد شاكر لأنعمه على قدر وسعه وطاقته ، والله يشكره على قدر جلاله وكماله .

وأنه كذلك يبارك الحسنة القليلة وينميها لصاحبها ويتقبلها منه قبولاً حسناً . وهي قد لا تساوي شيئاً في أنظار الناس لكنها تعظم عند الشكور بكرمه .

وأنه ساعة أن يجزي المحسنين لا يقتصر جزاؤه على الآخرة بل يسعهم في الدنيا بلطفه وبره قال الله - عز وجل : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الآخِرَةِ ﴾ (١)

وأنه هو الذي يجزي بالحسنة عشر أمثالها ويضاعفها أضعافاً مضاعفة ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها أو يعفو تكرماً منه وفضلاً إنه غفور " شكور " (٢) .

ثالثاً : اسم الله " الودود " :

كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٣) .

( ابن الأنباري : الودود في أسماء الله - عز وجل : المحب لعباده ، من قولك : وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوْدُهُ وَدًا ، و ودادًا . قال ابن الأثير : الودود في أسماء الله تعالى ، فعول بمعنى مفعول ، من الودِّ المحبة . يُقال : وَدِدْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ ، فأنه تعالى مودود ، أي محبوب في قلوب أوليائه ؛ قال : أو هو فعول " بمعنى فاعل ، أي يحبُّ عباده الصالحين ، بمعنى يرضى عنهم ) (٤) .

(١) آل عمران / ١٤٨

(٢) انظر أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها للدكتور / محمد بكر إسماعيل - دار المنار للطبع والنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م / ١٤٤ وما بعدها .

(٣) هود / ٩٠

(٤) لسان العرب مادة ( و . د . د ) .

ولك أن تتساءل : ما دور بنية " المبالغة " في هذا الاسم — " الودود " ؟ ، وما ارتباطه بالتوبة ؟ .

أما بنية " المبالغة " ودلالاتها في السياق القرآني فإله — عز وجل — كما قال الزمخشري : ( عظيم الرحمة للتائبين ، فاعل " بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال ) (١) .

فبلوغ مودة الله — عز وجل — هذا المنتهى ، وتلك السعة الفيضة دافع لكل التائبين في التوبة ، والطمع في قبولها بما اتصف الله به سبحانه بمزيد اللطف والإحسان والوداد ، ولعلك تلمح هذا المعنى متحققاً فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : { أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر ، تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة } .

أما عن الصلات بين اسمي " الرحيم " و " الودود " فإن الودود : هو الذي يحب الخير لجميع الخلق ، فيحسن إليهم ويثني عليهم ، وهو قريب " من معنى الرحيم ، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم ، المرحوم هو المحتاج والمضطر ، وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً ، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك ، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود .

ومن دلالات اسم الله " الودود " أن الصيغة أتت على وزن " فعول " وهذه البنية تأتي بمعنى ( فاعل ) وتأتي أحياناً بمعنى ( مفعول ) ، وقد أجرى المفسرون دلالة اسم الله " الودود " على المعنيين ،

فعلى المعنى الأول : هو - سبحانه - "محب" " لعباده المؤمنين  
التائبين ، وعلى المعنى الآخر : هو سبحانه " محبوب " من عباده يؤثرونه  
بالعبادة فيمتثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه (١) كما قال عز من قائل :  
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (٢) .

وَحَرِيٌّ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِهَذَا الْاسْمِ ، فَمَتَى صَارَ عَبْدًا وَدُودًا أَحَبَّ  
لِخَلْقِ اللَّهِ مَا يَحِبُّهُ لِنَفْسِهِ ، وَإِنْ سَمَا وَارْتَقَى وَتَمَلَّكَ الْوَدَّ أَثَرَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ ،  
فَأَثَرَ مَصْلِحَتِهِمْ عَلَى مَصْلِحَتِهِ ، وَقَدَّمَ مَنَفَعَتَهُمْ عَلَى مَنَفَعَتِهِ وَكَمَالَ ذَلِكَ إِلَّا  
يَمْنَعُهُ الْغَضَبُ عَنِ الْإِثَارِ وَالْإِحْسَانِ .

## ٢ - ما ورد منها وصفاً للأنبياء .

ورد من صيغة " فعول " وصفاً للأنبياء : مثالان : هما :

حضوراً - رءوف (٣)

الأول : " حضوراً " :

كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ  
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٤) .

الحضور : لغة من الحَصَرَ أي : الحبس والمنع (٥)

واختلف اللغويون والمفسرون في تفسير كلمة " حضوراً " على معانٍ

منها :

(١) انظر الصاوي على الجلالين ١٩٢ / ٢ ، والبحر المحيط ٢٥٥ / ٥

(٢) البقرة / ١٦٥

(٣) لفظ " مكرر " ورد في أسماء الله الحسنى وجاء وصفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما  
اللفظ الأول " حضوراً " فقد جاء وصفاً لنبي الله يحيى - عليه السلام .

(٤) آل عمران / ٣٩

(٥) انظر لسان العرب مادة ( ح . ص . ر ) . ، والمحزر الوجيز ٤٠٦ / ٢

الأول : الذي لا يأتي النساء عن عدم قدرة . ولم يرتض . هذا المعنى معظم المفسرين <sup>(١)</sup> بعد سوقه في كتبهم ؛ لأنه لا يليق بمقام النبوة .

الثاني : الذي لا يقرب النساء عِقةً ، واجتهادًا في دفع الشهوة . وهذا هو الأظهر في الآية والأليق بمكانة الأنبياء .

الثالث : المبالغ في حبس النفس عن الشهوات والملاهي <sup>(٢)</sup> .

الرابع : الهيوب المحجم عن الشيء <sup>(٣)</sup> وهذا أيضًا لا يليق بوصف الأنبياء .

الخامس : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر <sup>(٤)</sup> .

والراجع عند المفسرين هو الوجه الثاني ، وهو الأقرب للسياق القرآني ، والألصق بالدلالة ، وأعمّ منه الوجه الثالث ، فهو في المضمار ذاته ؛ حيث يعرض هذان الوجهان مدحًا ، وثناءً لنبي الله " يحيى " عليه السلام — في العِقة ، والطهارة ، والنقاء .

الآخر : " رعوف " <sup>(٥)</sup>

جاء في آية واحدة — وصِفًا للنبي — صلى الله عليه وسلم — هي قوله تعالى : ﴿ عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

قال الزمخشري : ( لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في قوله " رعوف رحيم " ) <sup>(٧)</sup> .

(١) انظر البحر المحيط ٤٦٧ / ٢ ، ٤٦٨ ، والمحرم الوجيز ٤٠٦ / ٢ والتحرير والتنوير ٢٤١ / ٣

(٢) انظر البيضاوي ١٥٨ / ١

(٣) انظر لسان العرب مادة ( ح . ص . ر ) .

(٤) انظر البحر المحيط ٤٦٧ / ٢ والكشاف ١٨٨ / ١

(٥) المواضع الإحدى عشرة المذكورة في القرآن انكريم لهذا اللفظ كلها في أسماء الله الحسنى عدا موضعًا واحدًا في سورة التوبة الآية الثامنة والعشرون بعد المئة .

(٦) التوبة / ١٢٨

(٧) الكشاف ١٧٩ / ٢

فاتصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوصفين المذكورين فيه دلالة على رفعة مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ربه ، وعلو شأنه بين خلق الله ، ولا ضير فقد وصفه الله بالخلق العالي الرفيع في قوله عز من قائل : ﴿ وإنا لخلق عظيم ﴾ (١) .

### ٣ - ما ورد منها وصفاً لليوم الآخر .

ورد من صيغة " فَعول " وصفاً لليوم الآخر مثال " واحد " وهو عبوس " في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٢)

العَبُوسُ : قَطُوب الوجه من ضيق الصدر (٣) أو هو كَلُوح الوجه وعدم انطلاقه (٤) .

وفي الصيغة وسياقها نكات بلاغية لافتة منها : البنية الدالة على شدة اليوم ، وأهواله من اقتراب الشمس والصراط والعرض والميزان ... إلخ ثم نعت " البنية " بلفظ " قَمْطَرِيرًا " الدال على بلوغ الغاية في الشدة والكرب ؛ لترداد الدلالة شدةً على شدة ، أضف إلى ذلك المنحى البلاغي المتبلور في المجاز العقلي للكلمة ، فليس اليوم هو العابس ؛ بل وجوه الناس هي العابسة فيه ، كقولهم نهاره صائم ، وليله قائم ثم من تكثيف الدلالة وتعدد مظاهر الجمال للكلمة انبثاق لون جمالي آخر في " اللفظة " ذاتها وهو " الاستعارة " حيث شُبَّه اليوم في شدته ، وضراوته بالأسد العَبُوس أو بالشجاع الباسل (٥) .

### ٤ - ما ورد منها وصفاً للتوبة .

ورد من صيغة " فَعول " في القرآن الكريم - وصفاً للتوبة نموذج واحد في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (٦)

(١) القلم / ٤

(٢) الإنسان / ١٠

(٣) انظر المفردات / ٥٤٤ ، وانظر التحرير والتوير مجلد ١٤ / ٢٩ / ٣٨٦

(٤) التحرير والتوير مجلد ١٤ / ٢٩ / ٣٨٦

(٥) انظر الكشاف / ٤ / ١٦٨ (٦) التحرير / ٨

اختلف المفسرون حول كنه " التوبة للنصوح " على أقوال (١)

وبنية " نصوحًا " ( صيغة مبالغة كالشكور ، صفة لتوبة أي بلغت الغاية في الخلوص ) (٢) .

قال ابن منظور : ( التوبة النصوح : الخالصة ، وقيل هي ألا يرجع العبد إلى ما تاب عنه ... وفعل من أبتية المبالغة يقع على الذكر والأنثى فكان الإنسان بالغ في نصح نفسه بها ) (٣)

وعطاء صيغة المبالغة في " نصوحًا " هو بلوغ الغاية في نصح نفسه ، فلا يتردد ، ولا يتوب وعينه ترنو إلى المعصية كتوبة الكذابين ، الذين يتوبون باللسان لا بالجنان والأفعال ، وبالادعاء لا بالإذعان ، فالتوبة ان استطاع التائب أن يرتقي بها ويقويها أضحت هي مصدر نصحه وردعه وزجره .

٥ - ما ورد منها وصفًا للماء .

ورد من صيغة " فَعول " وصفًا للماء مثال واحد هو :

طَهورًا (٤)

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٥)

واللافت في الصيغة عدولها عن اسم الفاعل " طاهر " لنكتة لطيفة في طبيعة الماء ، فـ " طهورًا " يعني ماءً بليغًا في الطهارة - كما أشار أبو السعود (٦) - وهو يعني أن الماء إضافة إلى أنه طاهر في نفسه ،

(١) قيل هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدًا ولا تريد أن تعود ، وقيل معناه : توبة خالصة فهو من قولهم : غسل ناصح إذا خلص من الشئ ، وقيل " نصوحًا " من نصاحة الثوب ، وقيل توبة تتصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها . انظر التسهيل ٤ / ١٣٢ وأبا السعود ٨ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ والكشاف ٤ / ١١٧ ولسان العرب مادة ( ن . ص . ح ) .

(٢) الصاوي علي الجلالين ٤ / ١٨٩

(٣) لسان العرب مادة ( ن . ص . ح ) .

(٤) ورد في القرآن بهذا اللفظ مرتين هما : قوله تعالى " وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا " الفرقان / ٤٨ وقوله تعالى : " وسقاهم ربههم شرابًا طهورًا " الإنسان / ٢١ بيد أن " اللفظ " الأول وصف " للماء " و " اللفظ " الآخر وصف " لخمير الآخرة ، وهذا الأخير تجده في آخر مبحث من هذه الصيغة .

(٥) الفرقان / ٤٨ (٦) أبو السعود ٦ / ٢٢٤

طاهر لغيره ، إذ ثمة فارق – عند الفقهاء – بين الماء الطاهر لنفسه غير المطهر لغيره ، والماء الطاهر لنفسه المطهر لغيره قال ابن عاشور : ( الطهور .. من أمثلة المبالغة في الوصف بالمصدر .. وماء المطر بالغ ) منتهى الطهارة ؛ إذ لم يختلط به شيء يكرهه أو يقذره وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه من جميع الجراثيم فهو الصافي حقاً والمعنى :

أن الماء النازل من السماء هو بالغ الطهارة في جنسه من المياه ، ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مُطَهَّر لغيره ؛ إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعول لزيادة معنى في الوصف ( ١ ) .

ويُـن " بروز أداء بنية " المبالغة " في اللفظ ، بحيث ما كان لِيُتَوَصَّلُ إلى عمق الدلالة وتكثيفها بهذا الوصف لولا البنية ذاتها .

## ٦ – ما ورد منها وصفاً للنفس .

ورد من صيغة " فعول " وصفاً للنفس اثنا عشر وصفاً هي :

جزوعاً (٢) – جهولاً (٣) – ظلوماً (٤) – عجولاً (٥) – فخوراً (٦) – قنوطاً (٧) – قنوط (٨) – كفوراً (٩) – كنوداً (١٠) – منوعاً (١١) –

- 
- (١) التحرير والتنوير مجلد ٩ ١٩ / ٤٧
- (٢) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " إذا مسه الشرُّ جزوعاً " المعارج / ٢٠
- (٣) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً " الأحزاب / ٧٢
- (٤) ورد في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى : " إنه كان ظلوماً جهولاً " الأحزاب / ٧٢ بهذا اللفظ وأخرى بلفظ " ظلوم " في قوله تعالى : " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار " إبراهيم / ٣٤ .
- (٥) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً " الإسراء / ١١
- (٦) ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات هي : قوله تعالى : " ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرحٌ " فخور " هود / ١٠ ، وقوله تعالى : " إن الله لا يحب كل مختالٍ " فخور " لقمان / ١٨ ، وقوله تعالى : " والله لا يحب كل مختالٍ " فخور " الحديد / ٢٣
- (٧) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق وكان الإنسان قنوطاً " الإسراء / ١٠٠
- (٨) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وإن مسه الشر فينوس " قنوط " فصلت / ٤٩
- (٩) ورد في القرآن الكريم بهذا اللفظ " كفور " ثماني مرات هي : هود / ٩ والحج / ٣٨ ، ٦٦ ولقمان / ٣٢ وسبأ / ١٧ وفاطر / ٣٦ والشورى / ٤٨ والزخرف / ١٥ ولفظ " كفوراً " ورد أربع مرات هي : الإسراء / ٢٧ ، ٦٧ والإنسان / ٣ ، ٢٤
- (١٠) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " في الإنسان لربه لكنود " العاديات / ٦
- (١١) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " وإذا مسه الخير منوعاً " المعارج / ٢١

— هلوغ (١) — يئوس (٢) .

## أثر المبالغة في بعض هذه الصفات :

أولاً : " قَتُورًا " :

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (٣)

( القَتْرُ والتَقْتِيرُ : الرُّمَّةُ من العَيْشِ .. وأَقْتَرُ الرجلُ : افْتَقَرَ .. وقَتَرَ على عِيَالِهِ يَقْتَرُ وَيَقْتِرُ قَتْرًا وَقَتُورًا أَي ضَيِّقٌ عَلَيْهِمْ فِي النِّفْقَةِ وكذلك التَقْتِيرُ وَالْإِقْتَارُ ثَلَاثُ لُغَاتٍ ) (٤) وَالْآيَةُ تَنْبِيهُ عَلَى مَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْبُخْلِ (٥) .

قال القرطبي : ( المعنى لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى ، لأمرين : أحدهما : أنه لا بد أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته . الثاني : أنه يخاف الفقر ويخشى العدم والله تعالى يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين . والإنفاق في هذه الآية بمعنى الفقر ) (٦) .

لقد بلغ هذا الإنسان حدًا من الشح لا يتصور ، ومنتهى من الإقتار لا يبلغه خيال . لك أن تتصور محاولاً شحذ جميع هممك إنسانًا قائمًا على خزائن رزق الله ونعمه على خلقه ، وهي في طبيعتها ملأى لا تنتفد أبدًا ، وعلى الرغم من هذا تجده ممسكًا مقتِرًا ، وماذاك إلا لتأصل داء الشح فيه ، واستحكام طبع البخل في نفسه كما قال — عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شِحْنَيْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٧) .

(١) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " إن الإنسان خلق هلوغًا " المعارج / ١٩  
(٢) ورد في القرآن الكريم بهذا اللفظ " يئوس " مرتين : في قوله تعالى : " ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور " هود / ٩ ، وقوله تعالى : " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس " قنوط " فصلت ٤٩ ولفظ " يئوسًا " مرة واحدة في قوله تعالى : " وإذا مسه الشر كان يئوسًا " الإسراء / ٨٣

(٣) الإسراء / ١٠٠

(٤) لسان العرب مادة ( ق . ت . ر ) .

(٥) انظر المفردات / ٦٥٥

(٦) القرطبي ١٤٥ / ١٦

(٧) التغابن / ١٦

ثانيًا : " كفور " :

كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن أَدْخَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسِرُ كُفُورًا ﴾ (١)

الكفور : المبالغ في كفران النعمة ، الجاحد لنعم الله عليه (٢)

هذا الوصف المّشين البالغ في الجحود والنكران منتهاه ، أطلق على الإنسان المنكر لنعم الله وإحسانه كما في الآية السابقة ، وجاء أيضًا وصفًا للشيطان في قوله تعالى : ﴿ إِن الْمُبْتَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴾ (٣)

قال ابن عاشور : ( اليئوس والكفور مثالًا مبالغة في الأيس ، وكافر النعمة أي : جاحدها ، والمراد بالكفور منكر نعمة الله ؛ لأنه تصدر منه أقوال " وخواطر " من السخط على ما انتابه كأنه لم ينعم عليه قط ) (٤) .

واللافت في سياق قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيُؤْسِرُ كُفُورًا ﴾ تأكيد الجملة باللام الموطئة للقسم هذا إضافة إلى التوكيد في جملة جواب القسم بحرف التوكيد " إن " لقصد تحقيق مضمونها وأنه حقيقة ثابتة ، لا مبالغة (٥) فيها ولا تغليب (٦) .

ثالثًا : " قنوط " :

كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (٧)

- 
- (١) هود / ٩
  - (٢) انظر المفردات / ٧١٥ والقرطبي / ٤ / ٣٣٢٨
  - (٣) الإسراء / ٢٧
  - (٤) التحرير والتنوير مجلد ٦ / ١٢ / ١٣
  - (٥) استخدم ابن عاشور لفظ " مبالغة " هو يعني معنى قريبًا من المعنى الشائع الآن القائم على التهويل وتصوير الأمر على غير حقيقته والمقابل للواقع والحقيقة .
  - (٦) انظر التحرير والتنوير مجلد ٦ / ١٢ / ١٣
  - (٧) فصلت / ٤٩

( القنوط : اليأس ؛ وفي التهذيب : اليأس من الخير ؛ وقيل : أشد اليأس من الشيء ) (١) .

وهذه صفة أخرى من صفات النفس البشرية ؛ بل قل إن شئت صفتين مترادفتين ، فهو فرح " مسرور " ما استقامت له الحياة ، وتكاثرت عليه النعم ، فإذا ضيق عليه " فيئوس " قنوط " قال الزمخشري ( بولغ فيه من طريقتين من طريق بناء " فعول " ومن طريق التكرير . والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضائل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه ) (٢) .

فسرُّ تكثيف الدلالة - كما هو بين - في " فيئوس " قنوط " إنما تبلور في " البناء " و " التكرير " ، هذا التآزر الجمالي حدا بالمفسرين إلى أن يبلغوا بالموصوف الحد الأقصى ، فمال جُلُّ المفسرين إلى أن المقصود بالوصف " الكافر " ؛ إذ هو الذي يمكن أن يصنُرَ منه هذا الخلق كما قال - عزَّ من قائل : ﴿ إنه لا ييأس من رُوح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (٣) .

أما المؤمن فإنَّ اعترضه يأس فسرعان ما يتحول عنه إلى الرجاء وحسن الظن بربه - عز وجل - .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى إنزال الآيات على " مُعَيَّن " من صناديد الكفر في مكة وأن المقصود من " الإنسان " في السياق القرآني هنا هو " الوليد بن المغيرة " وقيل " عتبة " و " شيبه " ابنا ربيعة ، وقيل " أمية بن خلف " (٤) .

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ الإنسان - أيَّ إنسان - أدرك حظَّه من " اليأس " لا محالة ، فإن اصطبغ بالإيمان فالْيَأْسُ ظِلٌّ " عارض " وسحابة

(١) لسان العرب مادة (ق . ن . ط) .

(٢) الكشاف ٣ / ٣٩٤

(٣) يوسف / ٨٧

(٤) انظر القرطبي ٩ / ٦٠٣٩ ، والكشاف ٣ / ٣٩٥

صيف ألم تر إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١)

وإن عُرِّي عنه فقنوط "قطوع" لكل ألوان الرجاء ، قد تحطم على صخرة اليقين وتاه في دياجي الحيرة والشك والجزع .

## ٧ - ما ورد منها وصفاً للباطل .

ورد من صيغة "قَعول" وصفاً للباطل مثال "واحد" هو :  
زهوقاً (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣)

زهوقاً : مضمحلاً غير ثابت في كل وقت ، ذاهب منتقل (٤) .

والمعنى : استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي - صلى الله عليه وسلم ، وانقضى الباطل الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينهى عنه ، ثم إن انقضاء هذا الباطل ليس وقفاً على هذه الأمة ؛ بل ذلك شأن الباطل فيما مضى من الشرائع أنه مندحر "زائل" لا ثبات له (٥) .

## ٨ - ما ورد منها وصفاً للعصاة .

ورد من صيغة "قَعول" وصفاً للعصاة مثال "واحد" هو :  
بغياً (٦) .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ في نفي الصفة عن مريم العذراء .

(١) يوسف / ١١٠

(٢) ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الإسراء الآية الحادية والثمانين .

(٣) الإسراء / ٨١

(٤) انظر الكشاف ٢ / ٣٧٣ و لسان العرب مادة ( ز . ه . ق ) .

(٥) انظر التحرير والتنوير مجلد ٧ / ١٥ / ١٨٨

(٦) ورد في القرآن الكريم مرتين ، كلتاهما في سورة مريم / ٢٠ ، ٢٨ أولاهما في نفي الصفة عن مريم البتول " ولم أك بغياً " وأخرهما في نفي الصفة عن أم مريم : " وما كانت أمك بغياً " .

البغيّ : الفاجرة التي تبغي الرجال أوهي المجاهرة المشتهرة في الزنا (١) .

ولم تلحقه التاء إما قصداً للمبالغة وإما للنسب كطالق وحائض (٢) .

وجاءت الآية الأخرى في سورة مريم في نفي الصفة عن أم مريم في قوله تعالى : ﴿ وما كانت أمك بغياً ﴾ (٣) .

فقد زكى الله أم مريم " امرأة عمران " في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٤) .

وزكى الله مريم في قوله تعالى : ﴿ ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ وأمهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٥) .

## ٩ - ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين .

ورد من صيغة " فعول " وصفاً للجن والشياطين لفظان هما :

خذولاً - الخرور

أولاً : " خذولاً " (٦)

خذولاً : أي كثير الخذلان (٧) أو مبالغاً في الخذلان وهو ترك المعاونة والنصرة وقت الحاجة ممن يظن فيه ذلك (٨) .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٩) . (يحتمل

(١) انظر الكشاف ٤٠٧ / ٢ ، والبحر المحيط ١٧٠ / ٦

(٢) انظر البيضاوي ٢٩ / ٢

(٣) مريم / ٢٨

(٤) آل عمران / ٣٣

(٥) المائدة / ٧٥

(٦) ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى : " لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً " الفرقان / ٢٩

(٧) انظر المفردات / ٢٧٧

(٨) انظر روح المعاني ١٣ / ١٩

(٩) الفرقان / ٢٩

أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ،  
ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل (١) المذكور (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن خذلان الشيطان للإنسان ومبالغته في ذلك  
يُعَدُّ غاية المتلى ، وهدفه الأسمى من وراء الإغراء والإضلال قال عز من  
قائل : ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَакِمَ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ  
لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ  
بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾ (٥) ، ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفَتَنَاتِ  
نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴾ (٦) وغيرها من الآيات التي تبين  
هذا المنهج الضلالي الذي يتبعه " إبليس " - عليه لعائن الله - في الإغواء  
من استدرج خفي إلى خذلان مبين ، ومن ثمَّ يُجَلِّي لنا " أبو السعود " هذه  
الحقيقة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٧)  
فيقول : ( أي مبالغاً في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه  
ولا ينفعه ... على أنه سميَّ خليله شيطاناً بعد وصفه بالإضلال الذي هو  
أخص الأوصاف الشيطانية ، أو على أنه أراد بالشيطان " إبليس " ؛ لأنه  
الذي حمله على مخالفة المضلين ، ومخالفة الرسول الهادي - صلى الله عليه  
وسلم - بوسوسته وإغوائه لكن وصفه بالخذلان يُشعر بأنه كان يَعِدُّه في  
الدنيا ويؤمنه بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال إبليس (٨) .

ثانياً: " الغرور " (٩)

كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ  
الْغُرُورُ ﴾ (١٠) .

(١) كان " عقبة بن أبي معيط " قد أسلم ثم ارتد عن الدين بسبب صديقه الشقي " أبي بن خلف " وهو

المقصود بالخليل في قوله تعالى : لِيُنْتَبِئَ لِمَ اتَّخَذَ قُلَانًا خَلِيلًا " الفرقان / ٢٨

(٢) التسهيل ٧٨ / ٣

(٣) الأعراف / ٢٧ (٤) الصّور / ١٦

(٥) إبراهيم / ٢٢ (٦) الأنفال / ٤٨

(٧) الفرقان / ٢٩ (٨) أبو السعود ٢١٤ / ٦

(٩) ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات : في لقمان / ٢٣ وقاطر / ٥ والحديد / ١٤

(١٠) لقمان / ٣٣

( الغرور : كل ما يغرُّ الإنسان من مالٍ ، وجاه ، وشهوةٍ وشيطان وقد فسّر بالشيطان ؛ إذ هو أخبث الغاوين ، وبالذنيا لما قيل : الدنيا تغرُّ وتضرُّ وتمرُّ ) (١) .

وقال ابن منظور : ( الغرور : الشيطان يغرُّ الناس بالوعد الكاذب والتمنية وقال : الأصمعي : الغرور الذي يغرُّك . والغرور بالضم : الأباطيل ) (٢) وقال أبو السعود : الغرور : الشيطان المبالغ في الغرور (٣)

والملاحظ البلاغي في الآية هو إسناد التغيرير إلى الحياة الدنيا على سبيل المجاز العقلي ، لأن الدنيا ظرف الغرور ، وفاعل التغيرير حقيقة هم الذين يضلونهم بالأقيسة الباطلة ، فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته فذكرت هنا وسيلة التغيرير وشبهته ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغيرير وهو الغرور : من يكثر منه التغيرير ، والمراد به الشيطان بوسوسته وما يُمليه في نفوس دعاة الضلالة من شبه التمويه للباطل وما يُلقيه في نفوس أتباعهم من قبول تغيريرهم (٤) .

## ١٠ - ما ورد منها لمعانٍ شتى .

ورد من صيغة " فَعُول " لمعانٍ مختلفة لفظان : ذلول - طهورًا

أولاً : " ذلول " (٥)

وتدور معاني اللفظ حول التذليل بمعنى التسخير والانتقياد والتيسير (ذلت الدابة بعد شماس ذلاً ، وهي ذلولٌ ؛ أي ليست بصعبة ) (٦) .  
و ( طريقٌ مُدَلَّلٌ إذا كان موطوءاً سهلاً ، وذِل الطريق : ما وطئ منه وسهّل ، وطريقٌ ذليلٌ من طرقٍ ذُلل ) (٧) .

(١) المفردات / ٦٠٤

(٢) لسان العرب مادة ( غ . ر . ر ) .

(٣) انظر أبو السعود ٧٧ / ٧

(٤) انظر التحرير والتتوير مجلد ١٠ ١٩٥ / ٢١

(٥) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " قال إنه يقول إنها بقرة " لا ذلول "

تثبير الأرض " البقرة / ٧١ ولفظ " ذلولاً " مرة واحدة في قوله تعالى : " هو الذي جعل لكم

الأرض ذلولاً " الملك / ١٥ ولفظ " ذللاً " مرة واحدة في قوله تعالى : " فاسلكي سبيل ربك ذللاً

" النحل / ٦٩

(٦) المفردات / ٣٣٠

(٧) لسان العرب مادة ( ذ . ل . ل ) .

وارتبط اللفظ في القرآن الكريم بموصوفاتٍ ثلاثة هي : البقرة ، والأرض ، والنحل . أو السبل { حسب توجيه الإعراب } كآلآتي :

١- البقرة الذلول : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾ (١) : أي المنقادة التي تذللُّ لك للركاب وإثارة الأرض (٢) .

٢- الأرض الذلول : في قوله تعالى : ﴿ جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا ﴾ (٣) أي سهلة للمشبي فيها والذلول : فعول للمبالغة أي مذلولة كركوب وحووب (٤) .

٣- ذُلُلاً : في قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلْ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلاً ﴾ (٥)

- حال من السبل : أي مذلة غير وعرة .

- أو حال من النحل : أي مطيعة منقادة (٦) .

ثانياً : " طهوراً " (٧)

كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٨)

طهوراً - هنا - وصف " خمر الآخرة .

فخمر الآخرة شراب " طاهر " لم تَدنسه الأيدي ، وليس بنجسٍ كخمر الدنيا ولم تُدنس برجل دنسة ، ولم تمس بيدٍ وضرة ولم توضع في

(١) البقرة / ٧١

(٢) انظر القرطبي ١٠ / ٦٩٤١ ، والكشاف ١ / ٧٥

(٣) الملك / ١٥

(٤) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٣ والبحر المحيط ٨ / ٢٩٥

(٥) النحل / ٦٩

(٦) انظر التسهيل ٢ / ١٥٧ ، وأبا السعود ٥ / ١٢٦ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٩٧ والكشاف ٤ / ١٢٣

(٧) ورد اللفظ في القرآن الكريم مرتين هما : قوله تعالى : " وأنزلنا من السماء ماء طهوراً " الفرقان /

٤٨ وهو وصف للماء ومر بهذا المعنى في مبحث " ما ورد منها وصفاً للماء " فانظره هناك ،

وفي قوله تعالى : " وسقاهم ربهم شراباً طهوراً " الإنسان / ٢١ وهو المقصود في مبحثنا هنا .

(٨) الإنسان / ٢١

إناء لم يُعِن بتتظيفه ، من أجل ذلك جاء اللفظ بصيغة " المبالغة " للدلالة على مدى نقائها ، وحسن بهائها ، وعبق شرايبها فقد روي أن الرجل من أهل الجنة إذا شرب هذا الخمر الطهور يرشح عرقاً من بدنه له ريح " كريح المسك " (١) .

## ملاحظات على صيغة " فَعول "

١- ورد عدد أمثلة هذه الصيغة في القرآن الكريم ستاً وعشرين مرة وهي بهذا تحتل المرتبة الثالثة - وروداً في القرآن - بعد صيغتي " فَعَال " و " فَعِيل " .

٢- جاءت أمثلة الصيغة على النحو التالي :

(١) ما ورد منها اسماً لله - عز وجل : ستة أمثلة .

(٢) ما ورد منها وصفاً للأنبياء : مثالان (٢) .

(٣) ما ورد منها وصفاً لليوم الآخر : مثال " واحد " .

(٤) ما ورد منها وصفاً للتوبة : مثال " واحد " .

(٥) ما ورد منها وصفاً للماء : مثال " واحد " .

(٦) ما ورد منها وصفاً للنفس : اثنا عشر مثالاً .

(٧) ما ورد منها وصفاً للباطل : مثال " واحد " .

(٨) ما ورد منها وصفاً للعصاة : مثال " واحد " .

(٩) ما ورد منها وصفاً للجن والشياطين : مثالان .

(١٠) ما ورد منها لمعانٍ شتى : مثالان (٣) .

---

(١) انظر الكشاف ٤ / ١٧١ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٩٢ .

(٢) مع ملاحظة تكرار لفظ " رءوف " فهو مذكور في أسماء الله ومعدود في الإحصاء هناك فقط .

(٣) مع ملاحظة تكرار لفظ " طهوراً " في معنيين مختلفين وهو في الإحصاء معدود في مبحث وصف الماء فقط .

اللافت في الصيغة اختلافها عما سبقها من الصيغ في قلة الأمثلة الواردة لأسماء الله - عز وجل ، في مقابل كثرة النماذج الواردة للنفس البشرية . أضف إلى ذلك استمرار غياب بعض الأوصاف التي ظهرت في الصيغة الأولى " فعَّال " ولم تظهر في " فعيل " وكذلك هنا في " فَعول " مثل وصف المؤمنين والجنة واليهود ، في حين ظهرت بعض الأوصاف الجديدة مثل وصف اليوم الآخر والماء والتوبة والباطل .

٣- صيغة " فعول " تستعمل في العربية بمعنى " فاعل " مثل رءوف - شكور - غفور ، كما تستعمل أحياناً بمعنى " مفعول " مثل " ذلول " أي مذلولاً منقاداً .

٤- لفظ " ذلول " ورد وصفاً لموصوفات متعددة ، حيث جاء وصفاً للبقرة ، والأرض والنحل أو السبل ، وبيَّنت ذلك في مبحث " ما ورد منها لمعان شتى " .

٥- لفظ " رءوف " جاء اسماً من أسماء الله - عز وجل في كل سياقاته إلا سياقاً واحداً جاء وصفاً للنبي العدنان - صلى الله عليه وسلم .

٦- لفظ " طهوراً " ورد في سياقين مختلفين ، الأول وصف " للماء والآخر وصف لخمير الآخرة .

## ( ٤ ) صيغة مفعال

ورد لصيغة " مفعال " في القرآن الكريم نموذجان هما :

مدراراً - مرصاداً

الأول : مدراراً (١)

كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ (٢)

(١) ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات : في قوله تعالى : " وأرسلنا السماء عليهم مدراراً " الأنعام / ٦ ، وقوله تعالى : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً " هود / ٥٢ وقوله عز من قائل : " يرسل السماء عليكم مدراراً " نوح / ١١  
(٢) الأنعام / ٦

المدرار : المغزار ، كثير الصب المتتابع (١)

وجمال السياق منوط بالبنية الراصدة لانهمار المطر - وهي كما قال  
" ابن الأنباري " : ذكرت " لتعديد النعم " (٢) وبيان فضل الله على خلقه .

الآخر : مرصاداً :

وردت بهذا اللفظ في القرآن الكريم في سياق واحد هو قوله تعالى :

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ (٣)

وبلفظ " مرصاد " في سياق واحد - أيضاً - في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (٤)

قال ابن منظور ( معناه لبالطريق أي بالطريق الذي ممرك عليه ...  
وقال الزجاج : أي يرصد من كفر به وصد عنه بالعذاب ، وقال ابن  
عرفة : أي يرصد كل إنسان حتى يجازيه بفعله . ابن الأنباري :  
المرصاد : الموضع الذي ترصد الناس فيه ... وقيل : المرصاد : المكان  
الذي يرصد فيه العدو وقال الأعمش في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ  
لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ قال : المرصاد ثلاثة جسر خلف الصراط : جسر " عليه  
الأمانة ، وجسر " عليه الرحم ، وجسر " عليه الرب ، وقال تعالى :  
﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أي ترصد الكفار (٥) .

وفي قوله - عز من قائل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ تنبيه على أنه  
تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وزمان ، رقيب " على كل إنسان

(١) انظر البيضاوي ١ / ٢٩٣ ، الصاوي على الجلائين ٢ / ٥ ، روح المعاني ٧ / ٩٥ .

(٢) البحر المحيط ٤ / ٨١ ، وهذا هو الوجه الظاهر في السياق ، أما ما ذكره ابن عاشور :  
" ووصف المطر بالمدرار مجاز عقلي وإنما المدرار سحابه " ففيه نظر ؛ لأن وصف المطر  
بالمدرار حقيقة ؛ لكن ربما قصد وصف السماء بالمدرار هوالمجاز ، وحتى هذا السياق جائز أن  
يكون حقيقة على معنى أن السماء : المطر قال ابن منظور : " السماء : السحاب والسماء المطر  
.. يقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أي : المطر " اللسان ٣ / ٢١٠٨ وجائز " أن يكون  
على المجاز ، فالقول بأن في السياق مجازاً لا يسلم له على الإطلاق .

(٣) النبا / ١٤

(٤) الفجر / ١٤

(٥) لسان العرب مادة ( ر . ص . د ) .

لا يفوته أحد" من الجبابرة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش (١) .

والملاحظ البلاغي في سياق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ في الاستعارة - كما قال الصاوي : ( شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال مَنْ قعد على الطريق مترصدًا لمن يسلكها ؛ ليأخذه ، فيوقع به ما يريد واستعير اسم المُشَبَّه به للمُشَبَّه ) (٢) .

وفي السياق الآخر : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا " (٣) يعني ترصد من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب ، وقال مقاتل : مجلسًا ، وممرًا للأولياء (٤)

قال الحسن : ( إن على النار رصدًا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه فَمَنْ جَاءَ بِجَوَازٍ جَازٍ وَمَنْ لَمْ يَجِئْ بِجَوَازٍ حُبْسٍ ) (٥) ولهذا جاء قوله تعالى بعد : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ (٦) بمثابة طوق النجاة - فوزًا ونجاةً - من هذا الإرصاد المكين ، وهذا المآب المهين ، وهذا اللفت التقابلي بين فريقَي العصاة والنقاة وبين الإرصاد والنجاة هو الذي يمنح المتلقي قدرة وافرة في إدراك الدلالة وفهم فحوى السياق في رحاب جماليات المفارقة لتبيين عِظَمِ مِئَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الظَّفَرِ ، والجواز بسلام .

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ١٩٧ وعن عمرو بن عبيد - رحمه الله - أنه قرأ هذه السورة ( العجر )

عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال : إن ربك لبالمرصاد يافلان ( عرض له في هذا

النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة ) قلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة

بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه . انظر الكشاف ٤ / ٢٠٩ .

(٢) الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٦٧

(٣) النبأ / ٢١

(٤) انظر البحر المحيط ٨ / ٤٠٥

(٥) القرطبي ١٠ / ٧٢١٣

(٦) النبأ / ٣١

## ثانياً : الصيغ السماعية

ورد من هذه الصيغ في القرآن الكريم سبع صيغ هي :

- ١- فَعَلَةٌ .
- ٢- فَعِيلٌ .
- ٣- فَعَّالٌ .
- ٤- فَعُولٌ .
- ٥- فَعُلٌ .
- ٦- فَيَعُولٌ .
- ٧- فَعَّيْلٌ .

### ( ١ ) صيغة فَعَلَةٌ

ورد من صيغة "فَعَلَةٌ" في القرآن الكريم ثلاثة أمثلة هي :

الْحُطْمَةُ - هَمْزَةٌ - لَمْزَةٌ

أولاً : الْحُطْمَةُ (١) :

( الْحُطْمَةُ : اسم " من أسماء النار ، نعوذ بالله منها ، لأنها تحطم ما تلقى وقيل : الْحُطْمَةُ باب من أبواب جهنم ، وكل ذلك من الحَطْمِ الذي هو الكسر والدق ... و الْحُطْمَةُ من أبنية المبالغة وهو الذي يكثر منه الحَطْمُ ، ومنه سُمِّيت النار الْحُطْمَةُ ؛ لأنها تحطم كلَّ شيء ، ومنه الحديث : رأيت جهنم يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ) (٢) .

تلك نار " مُحْطَمَةٌ كل ما تلقاه من شدة البطش والغیظ والحَنَقِ فهي ( تكسر كلَّ ما يلقى فيها وتَحْطُمُه وتُهَشِّمُه ) (٣) فلا يقوم لها شيء ، أضف إلى ذلك - إن استرسلت في السياق القرآني في السورة - أنها بعد

(١) وردت بهذا اللفظ في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى : " كَلَّا لِيُنَبِّئَنَّ فِي الْحُطْمَةِ \* وما

أدراك ما الْحُطْمَةُ " الهمزة / ٤ ، ٥

(٢) لسان العرب مادة ( ح . ط . م ) .

(٣) القرطبي ١٠ / ٧٥٢٨

التحطيم والكسر " تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم ، وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ، ولا شيء في بدن الإنسان أطف من الفؤاد ، ولا أشد تألماً منه بأدنى أذى يمسّه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ) (١) .

## ثانياً : هَمْزَة - لَمْزَة (٢) :

كقوله تعالى : ﴿ ويلٌ لكل هُمْزَة لَمْزَة ﴾ (٣)

( الهَمْزُ مثل اللَّمْزِ . وَهَمْزَةٌ : دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ وَهَمْزَتُهُ وَلَمْزَتُهُ وَلَهَزْتُهُ وَتَهَزَّتُهُ إِذَا دَفَعْتَهُ .. وَالْهَامِزُ وَالْهَمَّازُ : الْعِيَابُ وَالْهُمَزَةُ مِثْلُهُ ، وَرَجُلٌ هُمْزَةٌ ، وَامْرَأَةٌ هُمْزَةٌ أَيْضًا . وَالْهَمَّازُ وَالْهُمَزَةُ : الَّذِي يَخْلِفُ النَّاسَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَيَأْكُلُ لِحُومِهِمْ ، وَهُوَ مِثْلُ الْعَيْبَةِ ، يَكُونُ ذَلِكَ بِالشَّدَقِ وَالْعَيْنِ وَالرَّأْسِ ) (٤) .

وقال الراغب الأصفهاني : ( اللَّمْزُ : الْإِغْتِيَابُ وَتَتَبِعَ الْمَعَابِ .. وَرَجُلٌ لَمَّازٌ ، وَلَمْزَةٌ : كَثِيرُ اللَّمْزِ ) (٥) .

ويبدو أن اختلافاً كبيراً حدث بين اللغويين والمفسرين حول الفرق بين اللفظين ، ويمكن إيجاز أهم هذه الاختلافات على النحو التالي :

- 
- (١) الكشاف ٤ / ٢٣٣
  - (٢) وردا في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " ويلٌ لكل هُمْزَة لَمْزَة " الهَمْزَة / ١ .
  - (٣) الهَمْزَة / ١
  - (٤) لسان العرب مادة ( هـ . م . ز ) .
  - (٥) المفردات ٧٤٧/

م	هُمَزَة	لَمَزَة	ملاحظات
١	الذي يطعن الناس في الحضور.	الذي يطعن الناس في الغيبة	وقيل العكس (١).
٢	الذي يهمز الناس بيده ويضربهم .	الذي لمزهم بلسانه ويعيبهم .	وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين (٢).
٣	الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ .	الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه (٣).	
٤	الرجل القنات ( النمام ) .	الرجل العيب (٤).	
٥	قال سفيان الثوري : " يهمز بلسانه "	" ويلمز بعينه " (٥).	
٦	الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم ، يكون ذلك بالشّدق والعين والرأس (٦) .	المغتتاب المتّبع المعاب (٧).	

وجملة القول أن هذه الأقوال كلها ترجع إلي إظهار العيب ، وإيداء الطعن ، سواء أكان ذلك في حضرة الشخص أم في غيبته وسواء أكان ذلك باللسان أو باليد أو بالعين ، فالمتفق عليه بين الجميع أن هؤلاء القوم هم الساعون بين الناس بالقطيعة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب .

واللافت في البنية أن "فَعَلَهُ" تدل على أن الشخص القائم بالصفة — وهي هنا الطعن والعيب — قد اشتهر بها ، وأكثر منها حتى صارت له عادةً وُخْلِقًا (٨) أضف إلى هذا "الهاء" الملحقة بالصيغة إذ (لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة أمارة

(١) انظر التسهيل ٤ / ٢١٧ ، والقرطبي ١٠ / ٧٥٢٥ ، والصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩

(٢) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩

(٤) انظر القرطبي ١٠ / ٧٥٢٥

(٥) القرطبي ١٠ / ٧٥٢٦

(٦) انظر لسان العرب مادة (هـ . م . ز) .

(٧) انظر المفردات ٧٤٧ /

(٨) انظر الكشاف ٤ / ٢٣٢ ، والبيضاوي ٢ / ٦٢١ ، وأبا السعود ٩ / ١٩٨

لما أريد من تأنيث " الغاية والمبالغة " (١) .

وإن شئت أن تبلغ الغاية ، وتترك النهاية في كشف جمال اللغة في صيغها فاعلم أن صيغة "فَعَلَهُ" لها جانب جمالي متفرد ، يتوقف على ضبط الكلمة ، فقد يؤدي الضبط إلى مبالغة الفاعل وقد يؤدي إلى مبالغة المفعول ، قال الصاوي : ( والتاء فيهما للمبالغة في الوصف ، واطرد بناء ( "فَعَلَهُ" ) يضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي المكثّر من الفعل وإذا أسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يُقال : رجلٌ "لَعْنَةٌ بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ، ولَعْنَةٌ بسكون العين إذا كان ملعوناً للناس ) (٢) وعلى هذا فإذا قلت : هذا رجلٌ هُمَزَةٌ أي كثير الهمز لغيره ، وإذا قلت : هو رجلٌ هُمَزَةٌ : أي مهموز مطعون من الناس .

## ( ٢ ) صيغة فَعِيل

ورد لهذه الصيغة في القرآن الكريم مثالان هما : صديق - قسيسين :

أولاً : صديق (٣) :

كقوله تعالى : ﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾ (٤) .

قال ابن منظور : ( الصّدِّيق ... الدائم التصديق ، ويكون الذي يُصدِّقُ قولَه بالعمل ذكره الجوهري ... والصدّيق : المُصدِّق . وفي التنزيل : " وأمه صديقة " أي مبالغة في الصدق والتصديق على النسب ، أي ذات

(١) لسان العرب مادة ( ه . م . ز ) .

(٢) الصاوي على الجلائن ٢٩٩ / ٤

(٣) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : " يوسف أيها الصديق أفنتنا " يوسف/

٤٦ ، وبلغظ " صديقاً " مرتين : الأولى : قوله تعالى : " واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان

صديقاً نبياً " مريم / ٤١ والأخرى قوله تعالى : " واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً

" مريم / ٥٦ وبلغظ " الصديقون " مرة واحدة في قوله تعالى : " أولئك هم الصديقون " الحديد/

١٩ وبلغظ " الصديقين " مرة واحدة في قوله تعالى : " أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين " النساء / ٦٩ ، وبلغظ " صديفة " مرة واحدة في قوله تعالى : " وأمه صديفة كانا

ياكلان الطعام " المائدة / ٧٥ .

(٤) يوسف / ٤٦

تصديق ... وقول الله - عز وجل : " والصديقون والشهداء عند ربهم " .. الصَّدِّيقُ : المبالغ في الصدق (١) .

ونكتة هذه البراعة في الاستهلال من الساقبي بوصف يوسف " بالصديقية " وهي المبالغة في الصدق لما خيره من أحواله وجرب صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٢) .

قال أبو السعود : ( ملازمًا للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله ) (٣) .

ولعل ذلك كان واضحًا في وصف نبي الله إبراهيم - عليه السلام - فهو لفرط صدقه امتثل لجميع ما كلفه الله به حتى عرضة ذلك للإلقاء في النار فلم يبال ، وبادر إلى ذبح ولده الذي رزقه بعد لأي وباشر ذبحه بنفسه وببده ، ولم يبال ، من أجل ذلك اتصف بهذه الصفة التي لا أتصور أن يبلغ مداها أحد منّا بلغ خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

ثانيًا : قَسِيَّين (٤) :

قال الألوسي : ( " قسيين " وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤسائهم والقسييس : صيغة مبالغة من قَسَس الشيء إذا تَبَّعه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم ) (٥) .

(١) لسان العرب مادة ( ص . د . ق ) .

(٢) مريم ٤١ ، ٥٦ الأولى في نبي الله إبراهيم والأخرى في نبي الله إدريس .

(٣) أبو السعود ٢٦٦ / ٥

(٤) ورد في القرآن الكريم بهذا اللفظ مرة واحدة في قوله تعالى : " ذلك بأن منهم قسيين ورهبانًا " المائدة / ٨٢

(٥) روح المعاني ٣ / ٧ ، وقال ابن منظور : ( القسُ : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وقيل : هو الكيس العالم .. والقسييس : كالقس ، والجمع قساقسة على غير قياس ، وقسييسون ، وفي التنزيل العزيز : " ذلك بأن منهم قسيين ورهبانًا " والاسم القسوسمة والقسيسية ، قال الفراء : نزلت هذه الآية فيمن أسلم من النصارى ، ويقال : هو النجاشي وأصحابه ، وقال الفراء في كتاب الجمع والتفريق : يجمع القسييس قسييسين كما قال تعالى ، ولو جمعه قسوسًا كان صوابًا لأنهما في معنى واحدٍ يعني القس والقسييس ، قال : ويجمع القسييس : قساقسة جمعه على مثال مهالبة فكثرت السينات ، فأبدلوا إحداهن واوًا وربما شدد الجمع ولم يُشدد واحدٌ ) ( لسان العرب مادة ( ق . س . س ) ) .

### ( ٣ ) صيغةُ فَعَّال

ورد من صيغة "فَعَّال" في القرآن الكريم مثال واحد هو : "كُبَّارًا" :

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (١) موضعًا واحدًا .

الكُبَّارُ أبلغ من الكبير (٢) والبناء للمبالغة لبيان أن المكر الذي اتبعه الكافرون إزعاجًا لنوح — عليه السلام — ومن معه ، قد بلغ مداه في إخفائه من جهة ؛ فهو "مكر" ثم في زيادته والمبالغة فيه من جهة أخرى وفقًا لدلالات الصيغة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن "كُبَّارًا" على الرغم أنه أبلغ من "كبير" إلا أنه لا يوصف به الله — سبحانه وتعالى ؛ لأن أسماء الله توقيفية ، والوارد في الأسماء لفظ "الكبير" فقط كما هو منصوص عليه في الآيات والآثار ، وذلك مثل لفظ "علامة" لا يوصف به الله — عز وجل — على الرغم أنه أبلغ من "علام" إلا أن اللفظ الثاني هو الوارد .

### ( ٤ ) صيغةُ فَعُول

ورد من صيغة "فَعُول" مثال "واحد" هو : "قُدُّوس" جاء في القرآن في موضعين هما :

في قوله تعالى : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَام ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوس ﴾ (٤) .

التقديس : تنزيهه الله عز وجل وفَعُول بالضم من أبنية المبالغة ، وقد نُفِّتِ القاف وليس بالكثير ، فيقال قُدُّوس على الغالب ، وقُدُّوس على النادر

(١) نوح / ٢٢

(٢) انظر المفردات ٦٩٨/ ، والصيغة بهذا الشكل وردت في اللغة في ألفاظ قليلة مثل : طَوَّال أي طويل "جدا" ، وَعَجَّاب أي عجيب وحَسَّان ، وَجَمَّال أي جميل ، وَقَرَّاء لكثيري القراءة ، وَوَضَّاء أي وضئي انظر التحرير والتنوير مجلد ١٤ ٢٩ / ٢٠٧

(٣) الحشر / ٢٣

(٤) الجمعة / ١

وهو اسم من أسماء الله - تعالى - من معانيه : الطاهر والمبارك البليغ في النزاهة عما يُستقبح ، المنزه عما يوجب نقصاناً ، فهو تعالى مُنزهٌ " عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد ، ونظيره " السبوح " بيد أنه لم يرد في كتاب الله ؛ لكنه جاء في الحديث الصحيح : " سبوحٌ قُدوسٌ " (١) .

## ( ٥ ) صِيغَةُ فَعُلَ

ورد من صيغة " فَعُلَ " في القرآن الكريم لفظ واحد هو " عُتِلَ " وجاء في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ (٢) .

واختلف في دلالة لفظ " عُتِلَ " على أقوال (٣) وهو على العموم يحمل معاني الغلظة والجفاء . وقد جاءت " البنية " في سياق صفات متعددة لبعض الكافرين (٤) قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ \* هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ \* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ \* عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ (٥) .

وجملة ما وصف به هؤلاء أنهم :

- كثيرو الحلف .
- ضعفاء الرأي .
- مشأون بالنميمة .
- أشحة على الخير .
- غلاظ الجسم قساة القلوب .
- أدعياء بين عشيرتهم .

(١) انظر لسان العرب مادة ( ق . س . س ) ، والكشاف ٤ / ٨٥ ، وأيا السعود ٨ / ٢٢٣ ، والبيضاوي ٢ / ٤٨٣

(٢) القلم / ١٣

(٣) قال ابن منظور : ( العُتْلُ : الشديد ، وقيل : الأكل المتنوع ، وقيل : هو الجافي الغليظ ، وقيل : هو الجافي الخلق ... وقيل : هو الشديد من الرجال والدواب .. وقيل : هو الشديد الخصومة ) لسان العرب مادة ( ع . ت . ل ) .

(٤) قيل نزلت الآيات في " الوليد بن المغيرة " وقيل الأسود بن عبد يغوث وقيل الأختار بن شريف وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام . انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ١٩٧ ، والقرطبي ١٠ / ٦٩٥٨

(٥) القلم / ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

( في حديث شداد بن أوس ، قلت : يعني لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما العُتْلُ الزنيم ؟ قال : الرحيب الجوف ، الوتير الخلق ، الأكل ، الشروب ، الغشوم ، الظلوم ) (١) .

وجاءت الصفات في هذا السياق القرآني على زنة أوزان المبالغة للدلالة على تجاوز الحد في كل صفة ، وبلوغه المنتهى الذي يمكن الوصول إليه من الإفساد وسوء الأصل والرأي والطبع كما يحوي السياق في طيَّاته إشارتين : الأولى : هي أن المَعْنِيِّين بهذه الأوصاف كانوا على هذا القدر السيئ المبالغ فيه لسلوكهم المَشِين ، وطبعهم اللئيم .

والإشارة الأخرى : هي زجر " لكل إنسان أن يتصف بأي منها مع لفت الأنظار إلى أن نفي المبالغة - كما اعتدنا في السياق القرآني - هو نفي للأصل .

## ( ٦ ) صيغة فَيَعُول

ورد من صيغة " فَيَعُول " في القرآن الكريم مثال " واحد " هو :

( القيوم ) (٢)

قرأ الجمهور " القيوم " على وزن فَيَعُول ، أصله قَيُوم ، اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياءً ، وأدغمت فيها الياء (٣) والبنية للمبالغة . والقيوم : اسم الله تعالى الأعظم ، قُسر بأنه القائم بذاته ، المَقُومٌ لغيره ، وفسروا القيام بوجود الوجود المستلزم لجميع الكمالات ، والتنزه عن سائر وجوه النقص (٤) .

(١) البحر المحيط ٣٠٤ / ٨

(٢) ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات هي :

في قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " البقرة / ٢٥٥

وفي قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب " آل عمران / ٢

وقوله تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً طه / ١١١

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عمر وعقمة والنخعي والأعمش ( القيام ) ، وقرأ عقمة أيضاً " ال القيوم "

انظر البحر المحيط ٢٨٧ / ٢ .

(٤) انظر روح المعاني ٨ / ٣

ومن معاني هذا الاسم العظيم : المبالغ في القيام تدبير خلقه ؛ فلا يشغله شأن " عن شأن ولا تخفى عليه خافية ، وقوم السماء وزينها وبسط الأرض وجملها ، وأرضى كل إنسان بما قسم له من غير تعب يحصل له من ذلك (١) والمقصود إثبات عموم العلم له ، وكمال الحياة وإبطال الإهية أصنام المشركين (٢) .

## ( ٧ ) صيغة فَعِيل

ورد من هذه الصيغة في القرآن الكريم مثال " واحد " هو :

" دُرِّي " (٣) .

كقوله تعالى : ﴿ كَانَهَا كُوكَبٌ دُرِّي ﴾ (٤) . ( يُشَبِّه الزجاجة في إنارتها بكوكب دُرِّي ، وذلك يحتمل معنيين ، إما يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها ، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ، ورقة جواهرها ، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح والمراد بالكوكب الدُرِّي أحد الدراري المضيئة : كالمشترى ، والزهرة وسهيل ونحوها ) (٥) .

قال ابن منظور : ( كوكب " دُرِّيء على فَعِيل : مندفع في مضيئه من المشرق إلى المغرب ) (٦) .

والمظهر البلاغي - هنا - تكثيف الدلالة الناشئ من ظاهر البنية ( الدال على المبالغة ) ومن عمقها ؛ إذ تتضمن معنيين حسب توجيه أصل الكلمة فلفظ " دُرِّي " إما من " الدر " ، وإما من " الدرء " أي الدفْع

(١) انظر الصاوي على الجلالين ١٠٧ / ١

(٢) لأن المشركين كانوا يعترفون بأن مدبر الكون هو الله تعالى ؛ وإنما جعلوا ألتهتم شفعاء وشركاء ومقتسمين أمور القبائل . والمشركون من اليونان كانوا قد جعلوا لكل إله من ألتهتم أنواعا من المخلوقات يتصرف فيها وأما من البشر تنتمي إليه . انظر التحرير والتتوير ١٨ / ٣ ، ١٩

(٣) جاء في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " كَانَهَا كُوكَبٌ دُرِّي " النور / ٣٥

(٤) النور / ٣٥

(٥) التسهيل ٦٨ / ٣ ، قرأ نافع دُرِّي بضم الدال وتثنية الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان : إما أن يُنسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفاته أو يكون مسهلاً من الهمز وقُرئ بالهمز وكسر الدال { دُرِّيء } وبالهمز وضم الدال { دُرِّيء } وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع . انظر التسهيل ٦٨ / ٣

٦٨

(٦) لسان العرب مادة ( د . ر . ا ) .

فعلى الأول تكون البنية دالة على أن الكوكب متلائي مضيء ، يكاد أن يستتير من دون إنارة لمنتهى صفاء الزجاجية وفرط رقتها ، وإما من " الدرء " وعلى هذا تكون " البنية " دالة على سرعة الاندفاع أو قوة دفع الظلام بضوئه ، أو أن يكون المقصود أن يدفع بعض ضوئه بعضاً من شدة اللعان (١) .

---

(١) انظر البيضاوي ١٢٥ / ٢

## (٢) أدوات للمبالغة

١ - بل .

٢ - حتى .

٣ - كاد .

٤ - لو .

٥ - مهما .

لا ريب أن " البلاغة " في ملمح من ملامحها - تُفضي في النهاية إلى وسيلة ، وغاية ، الوسيلة : أدوات " مخصوصة " ، والغاية : جمال التصوير وبراعة الإقناع ، ليجد المتلقي نفسه قد انفصل عن ذاته ، وانصهر في معايشة حميمة مع العمل الفني . ومن ثم تكون البلاغة على هذا النحو هي البراعة في استخدام الأدوات التي تحقق أقصى درجات الجمال { مضموناً وشكلاً } ليتم ذلك التواصل الحميم بين العمل الفني والمتلقي (١) .

ومن هذا القبيل " المبالغة " فلها - أيضاً - أدوات لغوية ، هي قدر " مُشترك بين اللغويين والبلاغيين ، ضبطها اللغويون ووظفها البلاغيون الأوّلون ينصبُّ اهتمامهم على الأحكام صحةً وخطأً ، والآخرون يحتكمون إلى الجمال وما تمايزت به تلك الأدوات عن غيرها فنياً .

وهذا بدوره لا يعني أن الأداة نفسها تشي بمضمون المبالغة ، وإنما تستقى الدلالة من خلال السياق ، وتكون الأداة عاملاً مهماً في الوصول إلى هذا الناتج الدلالي اللافت .

ومن هذه الأدوات : بل - حتى - كاد - لو - مهما .

---

(١) انظر تشبيهات المتبني ومجازاته / ١٧ ، ١٨ .

## الأداة الأولى : بل (١)

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا نَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من تون ذلك هم لها عاملون ﴾ (٢) .

المعنى : بل قلوب الكافرين في غطاء وغفلة عن هذا القرآن و ( أصل الغمرة : إزالة أثر الشيء ، ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيئه غمر " وغامر .. والغمرة : معظم الماء السائر لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها ) (٣) .

قال ابن عاشور : ( انتقل إلى ما هو أغرب مما سبق ، وهو وصف غمرة أخرى انغمس فيها المشركون ، فهم في غمرة غمرت قلوبهم وأبعدتها عن أن تتخلق بخلق الذين هم من خشية ربهم مشفقون كيف وأعمالهم على الضد من أعمال المؤمنين تناسب كفرهم ، فكلُّ يعمل على شاكلته ) (٤) .

وواضح أن سبب غيهم ليس هو تكليفهم أعمالاً فوق طاقتهم ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا نَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ؛ بل حقيقة غيهم وضلالهم في قلوبهم ذاتها ، فهي في غمرة لا ترى من خلالها الحق الذي جاء به القرآن !

ومناط المبالغة في استعارة " الغمرة " (٥) أي الماء الكثير لزيادة الجهل والضلالة التي طمست فيها قلوب هؤلاء ، وصرف العطف " بل " أكد هذا المعنى بالانتقال الذي قال عنه ابن عاشور " انتقل إلى ما هو

---

(١) بل : حرف عطف يفيد الإضراب والإبطال والانتقال من غرض إلى غرض انظر معني اللبيب لجمال الدين بن هشام الأنصاري - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٠٣ / ١

(٢) المؤمنون / ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) المفردات / ٦١٤ .

(٤) التحرير والتنوير مجلد ٩ ١٨ / ٨٠ .

(٥) انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي - تحقيق د . علي محمود مقلد دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٩٨٦م / ١٩٨ .

أغرب مما سبق " — كما ذكرت آنفاً — فأسهم بهذا في جلاء المبالغة وكشف جمالياتها .

كذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ (١) .

قال أبو حيان ( " بل مكر الليل والنهار " أي : ما كان إجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دائماً ، ومخادعتكم لنا ، ليلاً ونهاراً ؛ إذ تأمروننا ونحن أتباع لا نقدر على مخالفتكم ، مطيعون لكم — لاستيلائكم علينا — بالكفر بالله ، واتحاد الأنداد وأضيف المكر إلى الليل والنهار ... على الإسناد المجازي كما قالوا : ليل " نائم " (٢) .

واللأفت — هنا — هذه الكثافة المتبلورة في الشحنات المتزايدة من المكر المتتابع ، الذي استغرق الليل — كلَّ الليل — واستوعب النهار كلَّ النهار وما هما في الحقيقة إلا طرفان حدث فيهما المكر ، لكن إن دل هذا فإنما يدل دلالة ناطقة على المنتهى الذي بلغه هؤلاء الرؤساء في إضلال الأتباع قال الشريف الرضي : ( وفيه أيضاً زيادة فائدة وهي دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً غير منقطع في الليل والنهار كما يقول القائل : مازال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بني فلان ، وهذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار من غير إغباب ولا إراحة ركاب ) (٣) .

ومهما كان دور الأداة " بل " — هنا — إضراباً ، أو ابتداءً أو انتقالاً فقد أدت إلى تحوُّل دلالي حميم الصلة بتهيئة المتلقي لاستقبال تلك الدلالة المجازية المتمثلة في المجاز العقلي .

(١) سبأ / ٣٣ .

(٢) البحر المحيط / ٧ / ٢٧٠ .

(٣) تلخيص البيان / ٢٤٨ .

ومثله في قوله تعالى : ﴿ أَعْلَقِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (١) .

( الأشر : شدة البَطْر ، وقد أشرَ يَأْشُرُ أَشْرًا ) .

قال تعالى : ﴿ سَيُعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الكَذَابِ الأَشْرِ ﴾ (٢) . ، فالأشْرُ أبلغ من البَطْر ، والبَطْرُ أبلغ من الفَرَح (٣) ، وكلها تدور حول معاني التجبر والعُجْب بالنفس والادِّعاء .

قال ابن منظور : ( الأشر : المَرَح ، والأشْر : البَطْر .. وقيل أشدُّ البَطْر ) (٤) .

ومن هنا فحدُّ " الأشر " الأدنى : الفَرَح { بالمعنى المذموم } ، وَحَدُّه الأوسط البَطْر والمَرَح ، فجاء السياق القرآني بالحد الأعلى في الدلالة " الأشر " أضف إلى ذلك مجيء هذه اللفظة الدالة على المبالغة بعد لفظة " كذاب " وهي - أيضاً - دالة إلى المبالغة ، فهما تلمحان بهـذا " الاختيار " في السياق إلى تجاوز الحد مرتين : مرة في " الكذب " ، وأخرى في " الأشر " ؛ إذ أتهم هؤلاء المضلون " صالحاً " - عليه السلام - أنه مُدَّعٍ للنبوَّة ، مُبالغٍ في الكذب ، هو ليس كذب الضعفاء المتتصلين من أفعالهم ؛ بل هو كذب البَطْر في طلب العلو ، والاستتكاف من البشر بادعاء النبوَّة طلباً للرياسة والشرف ، مثل هذا عندهم بلوغ الغاية في الشطط والتجاوز في الحد .

كذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً ﴾ (٥) . المعنى أن كل واحد من هؤلاء المجرمين يطمع أن ينزل عليه كتابٌ من الله كما أنزل على نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم .

(١) القمر / ٢٥ .

(٢) القمر / ٢٦ .

(٣) المفردات / ٧٧ ، ثم قال الراغب معرفاً الفَرَح : " فإن الفَرَح .. وإن كان في أغلب أحواله مذمومًا لقوله تعالى : ( " إن الله لا يحب الفرحين " القصص / ٧٦ فقد يحمد إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب ، كما قال تعالى : " فبذلك فليفرحوا " يونس / ٥٨ ) .

(٤) لسان العرب مادة ( ا . ش . ر ) .

(٥) المدثر / ٥٢ .

ويبرز أداء المبالغة هنا في إرادتهم الطاغية أن يصبحوا مثل النبي - صلى الله عليه وسلم .. يوحى إليهم .. وتنزل عليهم الكتب المقدسة حسداً للنبي - صلى الله عليه وسلم - وعلواً من أنفسهم واستكباراً (١) .

الأداة الثانية : حتى (٢)

كما في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (٣) .

سُبِّهَ أَوَّلَ مَا يَبْدُو مِنَ الْفَجْرِ الْمَعْتَرِضِ فِي الْأَفْقِ ، وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنْ غَبْشِ اللَّيْلِ بِخَيْطَيْنِ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ ، وَاكْتَفَى بِيَّيْنِ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ بِقَوْلِهِ " مِنْ الْفَجْرِ " عَنْ بَيَانِ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ لِدَلَالَتِهِ ، وَبِذَلِكَ خَرَجَا عَنِ الْاسْتِعَارَةِ إِلَى التَّشْبِيهِ (٤) .

ويتضافر معنى " حتى " الغائي مع سياق القرآن الدال على الحد الذي ينتهي عنده الأكل والشراب في إمكان الاستمرار فيهما حتى الإسفار المبين " حتى ينتشر النور في الأفق وعلى قمم الجبال وليس هو ظهور الخيط الأبيض في السماء وهو ما يُسمَّى بالفجر الكاذب " (٥) .

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ١٦٣ ، قال صاحب الظلال : " هو الحسد للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يختاره الله ويوحى إليه ، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة ، وأن يؤتى صحفًا تنشر على الناس وتعلن .. ولا بد أن الإشارة - هنا - كانت بصدد الكبراء الذين شق عليهم أن يتخطاهم الوحي إلى محمد بن عبد الله ، فقالوا : " لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القرينتين عظيم ؟ " . ولقد علم الله أين يضع رسالته واختار لها ذلك الإنسان الكريم الكبير العظيم . فكان الحنق الذي يغلي في الصدر ، والذي يكشف عنه القرآن ، وهو يحلل ذلك الشماس والنفار " . في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - ط الثانية عشرة ١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ - ٦ / ٣٧٦٢ ، ٣٧٦٣ .

(٢) حتى : حرف يأتي لأحد ثلاثة معان : انتهاء الغاية وهو الغالب ، والتعليل ، وبمعنى إلا في الاستثناء وهذا أقلها وقل من يذكره . انظر معني اللبيب ١ / ١١١ واستخدمت في النماذج المذكورة على المعنى الأول فقط .

(٣) البقرة / ١٨٧ .

(٤) انظر البيضاوي ١ / ١٠٧ ، " والتشبيه هنا أبلغ من الاستعارة ؛ لأن الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليها الحال ، أو الكلام وهنا لو لم يأت من الفجر لم تعلم الاستعارة ، ولذلك فهم الصحابة الحقيقة من الخيطين قبل نزول " من الفجر " حتى إن بعضهم وهو " عدي بن حاتم " غفل عن هذا التشبيه وعن بيان قوله " من الفجر " فحمل الخيطين على الحقيقة وحكي ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضحك وقال : إن كان وسأذك لعريضاً " البحر المحيط ٢ / ٥٧ .

(٥) في ظلال القرآن ١ / ١٧٥ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (١) .

قال أبو السعود : ( أي حتى يدخل ما هو مثل " في عِظَمِ الْجُرْمِ فيما علم في ضيق المسلك وهو ثَقْبَةُ الْإِبْرَةِ وفي كون الجملة مما ليس من شأنه الولوج في سَمِّ الْإِبْرَةِ مبالغة في الاستبعاد ) (٢) .

فناسب " الجملة " - مثلاً - لعِظَمِ الْحِجْمِ ، وناسب " ثَقْبُ الْإِبْرَةِ " - مثلاً - لضيق المسلك . وأنت إن رُمْتَ ضَخَامَةً أعظم من " الجملة " فلن تجد إلا " الفيل " - مثلاً - لكنه ليس ببيئته العرب مشهوراً كما " الجملة " ، وإن رُمْتَ ضَالَّةً أشد أو ضيقاً أعظم من ثَقْبِ الْإِبْرَةِ فقد تعجز حتى " في عصرنا الحديث " وهنا نتيج لك " المبالغة " قدرًا من التصور المحال في نفاذ هذه " الضخامة " من هذا الضيق ، تلك المفارقة العجيبة التي تمنح المتلقي محاولات يائسة في سبيل تصوُّر إجراء هذه المعادلة الصعبة ؛ بل المستحيلة حتى في محاولة تصوُّر إدخال جزء صغير - فقط - من جسم " الجملة " وليكن " خف ساقه " .

ومن هنا جاءت فكرة " الاستبعاد " و " التَّصَوُّرُ الْمُحَالُ " في دخول الكافرين المُكَدَّبِينَ " الجنة " حتى ينجح " الجملة " بهذه الطريقة من النفاذ من ذلك " الثقب " الضيق فكما أن ذلك مُحَالٌ مُمتنع فدخولهم الجنة - كذلك - مُحَالٌ مُمتنع وقد نجحت " المبالغة " أيما نجاح في منح " المتلقي " هذا الوضوح وهذا البيان عن طريق التصور والتخيل . أضف إلى ذلك وجود الأداة " حتى " التي تدل على التماس الكافرين هذه الغاية ومحاولتهم دخول الجنة بكل سبيل وأتى لهم ذلك وقد جحدوا نعمة الباري وكفروا بآياته . فهنا مزج " رائع " بين " حتى " الدالة على الغاية الزمنية وبين المُحَالِ نفسه ، وهو ولوج الجملة موطن المبالغة المقصودة وإنما جاءت " حتى " لتحديد الغاية التي لن تتحقق ، وكان أقصى غاية المعنى يُسَلِّمُ إلى المُحَالِ وهذا من بديع التصوير .

(١) الأعراف / ٤٠ .

(٢) أبو السعود ٢٢٧ / ٣ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا  
إِلَيْهِ ﴾ (١) .

هنا " الغاية " منوطة ببلوغ الهم والغم مبلغه من هؤلاء الثلاثة (٢) فقد  
ضاقت عليهم الأرض على الرغم من رحابتها وسعتها ؛ وذلك لإعراض  
الناس عنهم بالكلية ، وهو مثل " لشدة الحيرة ، " وضاقت عليهم أنفسهم "   
أي إذا رجعوا إلى أنفسهم ، فهم لا يطمنون بشيء لعدم الأنس والسرور ،  
واستيلاء الوحشة والحيرة ، وذلك لأن الرسول — عليه السلام لما دعا  
لمقاطعتهم ، كان أحدهم يلقي السلام على أقرب أقربائه فلا يرد عليه ، وفي  
العشر الآخر هجرتهم نساؤهم ، فزاد الخطب عليهم ، واعترتهم السامة  
والممل ، اعتورتهم الهواجس والهموم .

وما ظنك بقومٍ تنكّرت لهم أرضهم ، وانفرطت وشائج المودة بينهم  
وبين أهلهم وعشيرتهم ، فضاقت عليهم الأرض ، والأرض لا تضيق  
حقيقة ، وإنما تضيق الأرض وتتسع بأهلها كما قال الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

أما ضيق " النفس " فهذا من الجمال القرآني ؛ ( لأن النفس في الحقيقة  
لا توصف بالضيق والاتساع ، وإنما المراد بذلك انضغاط القلوب بشدة  
الكرب وبلوغها منقطع الصبر ) (٣) .

فالقلوب أوعية " ربنا أفرغ علينا صبراً " (٤) كأن الصبر فيض " ينسكب  
في القلب ، ويُملأ بمادة الصبر ، وفي الحديث : " اللهم اجعل القرآن ربيع  
قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا " ، فالآية

(١) التوبة / ١١٨ .

(٢) كان كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع قد تخلفوا عن غزوة تبوك ٩ هـ بلا عذر  
، فمكثوا خمسين يوماً لا يكلمهم أحد ، أصابهم فيها شتى ألوان الهم والغم والضيق حتى تاب الله  
عليهم .

(٣) تلخيص البيان / ٩٣ .

(٤) البقرة / ٢٥٠ .

مِلءٌ" لوعاء القلب ، والحديث استفراغ القلوب من جملة الأحران والهموم والغموم ، فهي تتسع في الأولى بالملء ، وفي الأخرى بالاستفراغ وتضييق بالضد .

### الأداة الثالثة : كاد ( ١ )

كقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ ( ٢ ) .

فقد تاب الله على المهاجرين والأنصار بعد ما حدث منهم بعض الهفوات في غزوة " تبوك " حيث تباطأ البعض وتناقل آخرون عن الجهاد وفي قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ ﴾ بيان " لتناهي الشدة وبلوغها الغاية القصوى إذ شرعوا - فعلاً - في التباطؤ مثل " أبي خيثمة " ؛ بل وصل الأمر إلى حدّ التخلف - تماماً - عن غزوة " تبوك " كما حدث للثلاثة الذين خلفوا مثلما أوضحت - آنفاً .

فقد كادت الفتنة أن تتمكن منهم ، وأوشك أن يبلغ الزيغ منهم مبلغه ، ودللت " كاد " على نفي الشروع الفعلي في الأمر ، ونظراً لأنهم من أهل الإيمان فلم تتجح تلك " الحملة " التي تولى كبرها الشيطان ، ولم تثبت أمام صدق اليقين وصفاء الإيمان بيد أن مطارق النفس اللوامة ظلت تلقي بقرعها على تلك الأنفس الأبيّة ، فاعتورها من الضيق ما اعتورها حتى

---

(١) " كاد : وضعت لمقاربة الشيء فعل أو لم يفعل " لسان العرب مادة ( ك . و . د ) . قال أبو حيان : ( يكاد مضارع التي هي من أفعال المقاربة " وهذه الأفعال هي من باب كان ترفع الاسم وتتصب الخبر إلا أن خبرها لا يكون إلا مضارعاً ولها باب " معقود " في النحو ، وهو نحو من ثلاثين فعلاً ذكرها أبو اسحاق البهاري في كتابه " شرح جمل الزجاجي " البحر المحيط ١ / ٢٢٥ .

(٢) القوية / ١١٧ ، وتسام الآية " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف " رحيم " .

ظنوا بعد الشدة والكره ﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ (١) فكانت رحمة الله  
السابغة ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

ومثله قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٣)

مبالغة في وصف صفاء الزيت ونقاؤه ، فقد أوشك أن يُضيء بنفسه من  
غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه (٤) قال الشريف الرضي : { هذه مبالغة في  
وصف الزيت بالصفاء والخلابة على طريق المجاز والاستعارة (٥) حتى  
يقارب أن يُضيء من غير أن يتصل بنارٍ أو يُنَاطَ بِذُبَالٍ } (٦) .

فإن هذا الزيت بلغ من النقاء والصفاء درجة يكاد يضيء منها من غير نار  
فتكون الإنارة به أتمَّ وأضوأ . والزجاجة بهذا الوصف أدعى مع نور  
المصباح لتهيئة كمال النور الممثل به .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا  
الذِّكْرَ ﴾ (٧) .

(١) التوبة / ١١٨ .

(٢) التوبة / ١١٨ .

(٣) النور / ٣٥ .

(٤) انظر التسهيل ٢ / ٦٨ ، البيضاوي ٢ / ١٢٤ .

(٥) القول أن في الآية مجازاً واستعارة فيه نظر ! فالآية تكون كذلك لو جاء النسق القرآني " زيتها  
يضيء " ، ومجسي " يكاد " مانعٌ من إيراد المجاز ، لأن القول على الحقيقة ، إذ هو مبني على  
المقاربة لا حدوث الفعل . والله أعلم . والظاهر أن " الشريف الرضي " في كتابه " تلخيص البيان " .  
كثيراً ما يُعوّل على ألفاظ المجاز والاستعارة ، وليس ثمة مجاز ولا استعارة وليس المقام ولا  
موضوع البحث يتسعان لبسط هذا الموضوع هنا .

(٦) تلخيص البيان / ٢٠٣ .

(٧) القلم / ٥١ ، قال ابن منظور : ( أزلقه ببصره : أخذ النظر إليه وكذلك زلقه زلقاً  
وزلقه ( عن الزجاجي ) ويقال : زلقه إذا نحاه عن مكانه . وقوله تعالى : " وإن يكاد الذين كفروا  
لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ " أي ليصيبونك بأعينهم فيزِيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك .. القراء :  
لِيُزْلِقُونَكَ : أي ليرمون بك ويُزِيلونك عن موضعك بأبصارهم ، كما تقول كاد يصرعني شدة نظره  
.. قال أبو إسحاق : مذهب أهل اللغة في مثل هذا أن الكفار من شدة إغصامهم لك وعداوتهم يكادون  
بِنظرهم إليك نظر البغضاء أن يصرعوك ، يقال : نظر فلان إليّ نظراً كاد يأكلني وكاد يصرعني ،  
وقال السقيني : أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالبغضاء يكاد يُسقطك ( لسان  
العرب مادة ( ز. ل. ق ) .

أي : ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد أن يصر عك ويُسقطك من مكانك وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين (١) .

إنها نظرات " أئمة ملؤها الغيظ والحقد والحسد ، وكانت توجه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتزل قدمه ، وهم يسعون في ذلك بشتى الطرق للعداوة المفرطة وقد كادوا أن ينجحوا في ذلك لولا عصمة الله له وفي الحديث : ( " إن العين لُدخلُ الرجل القبر ، والجمال القدر ) (٢) .

الأداة الرابعة : لو (٣)

كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (٤) .

اقترح بعض المضلين أن يروا الملائكة ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾ (٥) والآيتان ردُّ عليهما أي لو فرض أننا أصدقناهم إلى السماء ، وفتحنا لهم بابًا من أبوابها ، فظلوا يصعدون حتى شاهدوا الملائكة وآيات الله في السماء لقالوا - لفرط المعاندة والاستكبار - إنما سُدَّتْ أَبْصَارُنَا وخذعنا بهذا الارتقاء والصعود ، وما هو في حقيقة الأمر إلا سحر جديد سحرنا به محمد .

(١) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٠٣ .

(٢) أبو السعود ٩ / ٢٠ .

(٣) لو : تستعمل على خمسة أوجه ( أحدهما ) : لو المستعملة في نحو لو جاعني لأكرمته وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية أعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها ، والثاني : تفيد الشرطية بالزمن الماضي ، والثالث : الامتناع . ( الثاني ) : أنها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعًا وهذا هو القول الجاري على السنة المعريين ونص عليه جماعة من النحويين وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا . ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمُدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . ( الثالث ) : أنها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه إن كان مساويًا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودًا لزم انتقاؤه ؛ لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وإن كان أعم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجودًا فلا يلزم انتقاؤه وإنما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط وهذا قول المحققين . ( الرابع ) : أن تكون للتمني نحو لو تأتيني فتحدثني قيل ومنه " قلو أن لنا كرة " أي فليت لنا كرة . ( الخامس ) : أن تكون للعرض نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيرًا . انظر مغني اللبيب ١ / ٢٠٥ - ٢١٥ .

(٤) الحجر / ١٤ ، ١٥ . (٥) الحجر / ٧ .

وأنت إن أردت دليلاً أبلغ من هذا في كشف مدى المكابرة وفرط العناد لن تجد أبين من هذا ، ففي الوقت الذي تمثل فيه هذه المشاهدات مراحل يقينية عالية ، لم يُعْطَها إلا الأنبياء ، تُقَابَلُ بهذا العمه والشطط الذي إن دل فإنما يدلُّ على سوء تقدير للمواقف ، وعناد بليغ مستمر ، وإصرار — على غير العادة — على الكفر مستكنٌ في ذواتهم وضمائرهم رأيت أبعد من هذا؟! يطلبون الرؤية ثم يُنكرونها ويبخون الآية ثم يصدون عنها وهم مستكبرون ، فإن أولئك لو كانوا يملكون فِطْرًا نَفِيَّةً ونفوساً سَوِيَّةً لكانت هذه الشواهد الكونية التي تتراءى للناظرين كافيةً في الدلالة على وجود الله — سبحانه .

لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرْتُ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (١) .

قال أبو حيان : ( قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : إن الكفار قالوا للنبي — صلى الله عليه وسلم — سير جيلي مكة فقد ضيقا علينا ، واجعل لنا أرضاً غراساً ، وأخي لنا آباءنا وأجدادنا وفلائنا وفلائنا فنزلت معلمة أنها لا يؤمنون ، ولو كان ذلك كله ، ولمَّا ذكر تعالى علة إرساله ، وهي تلاوة ما أوحاه إليه ، ذكر تعظيم هذا الموحى ، وأنه لو كان قرآنًا تسير به الجبال عن مقارها ، أو تقطع به الأرض حتى تتزائل قطعاً قطعاً ، أو تكلم به الموتى فتسمع وتجييب لكان هذا القرآن ، لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ (٢) فجواب ( لو ) محذوف وهو ما قدرناه (٣) . وحذف جواب " لو " لدلالة المعنى عليه جائز (٤) .

(١) الرعد / ٣١ -

(٢) الحشر / ٢١ .

(٣) يقصد إما : " لما آمنوا " وإما " لكان هذا القرآن " فقد أوردهما معاً وهما خلاصة تقدير المفسرين لحذف جواب " لو " .

(٤) البحر المحيط / ٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ .

توجيه المعنى - هنا - سيتوقف بالضرورة على تقدير حذف جواب " لو " فعلى تقدير الحذف " لما آمنوا " يتشابه هذا الموضع بالموضع السابق في الإشارة إلى أسباب الهداية وأسباب الضلال فهؤلاء القوم لو أن قرآنًا سماويًا أوحى إليهم قد سئرت بتلاوته الجبال وشققت به الأرض وخطب به الموتى حتى أجابت وتكلمت بعد أن أحيها الله بتلاوته لما آمنوا . وذلك لإفراطهم في العناد والكفر وهذا المعنى شبيه " بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) .

وعلى تقدير الحذف " لكان هذا القرآن " يكون المعنى : لو كان كتاب " من الكتب السماوية المنزلة بهذه الأوصاف السابقة لكان هذا القرآن لكونه غاية في الهداية والتبصرة ، ونهاية في النذارة والبشارة .

وشبيه " به قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

قال ابن جزري : ( الآية توبيخ " لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن ، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم ) (٣) .

إنه مثل " ساقه الله تعالى لبيان قسوة الذين نسوا الله ونسوا ذكره وهو من ناحية أخرى حث على تأمل مواضع القرآن وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر والتفكير في آياته ، وكل ذلك تم بطريق التصوير حيث لو خطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة ، قد تأثرت بإعجاز القرآن ومعانيه (٤) .

(١) الأنعام / ١١١ .

(٢) الحشر / ٢١ .

(٣) التسهيل / ٤ / ١١١ .

(٤) انظر القرطبي / ١٠ / ٦٧٦٨ .

وهو في الوقت نفسه لفت " للإنسان عن طريق هذه المفارقة الفنية العجيبة : جبل " أشم على صلابته يرق ! وقلب ابن آدم على لينه يقسو ! فهل رأيت أبلغ من هذا بيانًا ؟ ! .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) قال ابن جزي : ( الآية إخبار بكثرة كلمات الله ، والمراد اتساع علمه ، ومعنى الآية : أن شجر الأرض لو كانت أقلامًا والبحر لو كان مدادًا ، يُصَبَّ فيه سبعة أبحر صبا دائمًا ، وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله ؛ لأن الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غير متناهية ، فإن قيل : لِمَ لم يقل والبحر مدادًا كما قال في الكهف : ﴿ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا ﴾ (٢) فالجواب أنه أغنى عن ذلك قوله : " يمدده " ؛ لأنه من قولك مدّ الدواء وأمدّها فإن قيل لِمَ قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمع الكثرة ؟ فالجواب أن هذا أبلغ ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة ، فكيف ينفد الجمع الكثير ) (٣) .

فالأصل أن علم الله — سبحانه — لا ينفد ، فجيء بمثال تقريبي إعانة للبشر على الفهم لا سيما أن مادة المثل مما يحيط بهم من بيئة وما ألقوه في حياتهم فالعلم يُكتب بمداد وأقلام ، وأوسع ما يحيط به من سائل هو البحر وأكثر ما تقع عليه عينه مما ينفع أن يكون أقلامًا : الأشجار ومن هنا كان المَثَل : لو أن شجر الأرض كان أقلامًا كاتبةً والبحر ممدودٌ بسبعة أبحر ما نفذ علم الله ولنفدت كل الأشجار والأقلام لأنها متناهية ومحدودة وعلم الله لا محدود ولا متناهي .

ولهذا تمنح الأداة " لو " الأسلوب سعةً في التصوير ، ومجالاً فياضاً في تمثّل الشرط القائم على " الامتناع " غالباً ، حيث يتأزر في المعنى مع دلالة " المبالغة " القائمة على بلوغ أقصى المعنى وهذا كله يُلقى

(١) لقمان / ٢٧ .

(٢) الكهف / ١٠٩ .

(٣) التسهيل ٣ / ١٢٨ ، " وروي أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير .. وقيل إن سببها أن قريشاً قالوا إن القرآن سنهد " التسهيل ٣ / ١٢٨ .

بظلاله على المتلقي مما يجعله يتواصل يتواصلًا حميمًا مع النظم القرآني  
فيدرك أغوار دلالاته وفحوى مقاصده .

### الأداة الخامسة : مهما (١)

جاءت في موضع واحد من القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا  
مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

إذ قال قوم فرعون على سبيل المبالغة في التحدي والتمادي في  
الإصرار والعناد لا تحاول يا موسى معنا البتة ، فمهما أتيتنا من معجزات  
باهرة وبيئات فاصلة فلن نصرف عما نحن فيه ، ولن نؤمن لك مطلقًا .

وتمَّ بُعْدٌ "نفسى وراء تلك المقولة ؛ إذ - غالبًا - ما يعترى  
المعاندين مثل هذا الجو النفسى الدافع لكل خير ، المانع لكل هدى ، فيقطعون  
الطريق على الحجة قبل إلقاء الحجة ، ويُعرضون عن الدليل قبل سماعه  
فيُتبعون أهواءهم مهما كانت النتيجة ؛ بل ربما دعوا على أنفسهم اتباعًا  
للهوى وإمعانًا في النفور ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ  
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

ولعلَّ السر في الأداة "مهما" هو بلوغ أوج الإصرار ومنتهى العناد  
والتئيس البالغ من مطمع الهداية .

---

(١) مهما : هي { ما } المضمنة معنى الجزاء ضُمَّت إليها { ما } المزيدة المؤكدة للجزاء في متى تخرج  
أخرج إلا أن ( الألف ) قلبت ( هاء ) استتقالاً لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري  
ومن الناس من زعم أن ( مه ) هي الصوت الذي يصوت به الكاف و ( ما ) للجزاء كأنه قيل كف ما  
تأتينا به . انظر الكشاف ٢ / ٨٤ ، ٨٥ ولها ثلاثة معان : الأول : ما لا يعقل غير الزمان مع  
تضمن معنى الشرط ومنه الآية . الثاني : الزمان والشرط فتكون ظرفًا لفعل الشرط نكره ابن مالك  
وزعم أن النحويين أهملوه . الثالث : الاستفهام نكره جماعة منهم ابن مالك . انظر معني اللبيب لابن  
هشام ٢ / ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الأعراف / ١٣٢ .

(٣) الأنفال / ٣٢

## ( ٣ ) طرائق أخرى للمبالغة

- ١ - ما جاء على أوزان الصفة المشبهة متضمنًا معنى المبالغة
- ٢ - زوائد للمبالغة .
- ٣ - التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي .
- ٤ - إيثار صيغة المضارع .
- ٥ - وضع المصدر موضع الصفة .
- ٦ - توخّي اللفظ وفقًا للمعنى .
- ٧ - إيثار الجمع .
- ٨ - مخاطبة المرأة بخطاب الذكور .
- ٩ - تغاير القراءات .

## ١ - ما جاء على أوزان الصفة المشبهة متضمنًا معنى المبالغة .

ثمة علاقة وثيقة بين الصفة المشبهة <sup>(١)</sup> وصيغ المبالغة ، فالأولى تعنى الدلالة على معنى قائم بالموصوف بها على وجه الثبوت ، والأخرى معلوم " أنها تعني الزيادة والكثرة ، بيد أنه - أحيانًا - تلتقي أوزان مشتركة بينهما كما في وزن "فَعِيل" ، و "فَعِل" <sup>(٢)</sup> . ومن هنا يحدث "قَدْر" من الخلط والامتزاج ، وأحيانًا الاضطراب في هذين الوزنين وفي غيرهما من الأوزان في تعيين ما هو الحق بصيغة المبالغة ، وما هو الحق بالصفة المشبهة ، على الرغم أن الصرفيين حدوا حَدَّيْنِ فارقَيْنِ للتمييز بينهما ، من حيث التعدي واللزوم من جهة ، ومن حيث الثبوت والكثرة من جهة أخرى . فما كان من الفعل اللازم كان أولى أن يُنسب إلى الصفة ، وما كان من المتعدي كان أولى أن يُنسب إلى صيغ المبالغة وما كانت دلالاته أقرب إلى الثبوت فهو صفة مشبهة ، وما كانت دلالاته أقرب إلى كثرة وقوع الفعل وتكراره فهو صيغة مبالغة . ومع هذا فبعض الصيغ لازالت تحمل بعض التباين بين المفسرين ومنها وزن "فَعِيل" فقد " تميز وزن فعيل بكثرة استخدامه للمبالغة في الصفات الدالة على الطباع وهو منقول عن الصفة المشبهة . فعلم يدل على أنه لكثرة علمه وتبحره فيه أصبح له طبيعة ثابتة ، وسجية ملازمة " <sup>(٣)</sup> ويبرز هذا الجانب واضحًا في أسماء الله الحسنى نحو " رفيع الدرجات " <sup>(٤)</sup> قال أبو حيان : { احتمل أن يكون ( رفيع ) للمبالغة على فعيل من رافع ، فيكون الدرجات مفعوله ، أي رافع درجات المؤمنين ، ومنازلهم في الجنة .. واحتمل أن يكون

(١) الصفة المشبهة باسم الفاعل هي كل صفة مأخوذة من فعل غير متعد ، لأنها إنما شُبهت باسم الفاعل المأخوذ من الفعل المتعدي فعملت عمله . ووجه الشبه بينهما أنها صفة كما أن اسم الفاعل كذلك . وأنها متحملة للضمير كما أن اسم الفاعل متحمل ضميرًا ، وأنها طالبة للاسم بعدها كما أن اسم الفاعل طالب للاسم بعده . انظر شرح جمل الزجاجي . الشرح الكبير لابن عصفور الإشبيلي ٥٧٨ / ١ .

(٢) أوزان المبالغة مرّت في مبحث الصيغة وأما أشهر أوزان الصفة المشبهة فهي : { فَعِل - أَفْعَل - فَعْلان - فَعْل - فَعَال - فَعِيل - فَعِل - فَعَل - فَعَل } انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٣ / ٢٢٢ والتطبيق الصرفي د . عبده الراجحي ٧٩ / ٨١ .

(٣) أسماء الله الحسنى - دراسة في البنية والدلالة - د . أحمد مختار عمر - عالم الكتب ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م / ٩٦ .

(٤) في قوله تعالى " رفيع الدرجات ذو العرش " غافر / ١٥ . وقد وردت في كتاب الله في هذا الموضع فقط .

( رَفِيع ) فعيلًا من رَفَعُ الشَّيْءُ : علا ، فهو رفيع ، فيكون من باب الصفة المشبهة { (١) وسار على درجة من المفسرين في القول بهذه الاحتمالية بين المبالغة والصفة المشبهة ابن جزي (٢) ، والصاوي على الجلالين (٣) ، وابن عاشور (٤) .

ومن الأوزان التي لاقت تباينًا - أيضًا - بين المفسرين وزن " فَعْلان " مثل غضبان وظمان وعطشان ، فلا شك أنها صفة مُشَبَّهة ، أولاً : للزوم فعلها ، ثانيًا : لثبوتها ، لكن توجُّه المفسرين حيال اسم الله " الرحمن " - وقد ورد على الوزن نفسه - بدا مختلفًا ، فمنهم من نظر إلى " الدلالة " في تضمنها معنى المبالغة ، حيث هي أبلغ من " الرحيم " فنصَّ على أن لفظ " الرحمن " من أبنية المبالغة ومن هؤلاء : البيضاوي (٥) وأبو حيَّان (٦) ، والعكبري (٧) ، والصاوي (٨) ، ومن العلماء المعاصرين د . أحمد مختار (٩) .

ومنهم من نظر إلى أصل الوزن " فَعْلان " فنصَّ على أنه صفة مُشَبَّهة ، لكنها تضمَّنت معنى المبالغة ، لكن هذا التضمُّن لا يخرجها عن كونها صفة مُشَبَّهة ومن هؤلاء أبو السعود (١٠) ومن العلماء المعاصرين د . محمد عبد الخالق عزيمة حيث لم يذكر لفظ " الرحمن " من أبنية المبالغة وأوردها في أبنية الصفة المُشَبَّهة (١١) وأميل لهذا الرأي ، لأن ألفاظًا كثيرة جاءت على أوزان الصفة المُشَبَّهة متضمنة معنى المبالغة

(١) البحر المحيط ٧ / ٤٣٦ .

(٢) انظر التسهيل ٤ / ٣ ، ٤ .

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٥ / ٤ .

(٤) التحرير والتنوير مجلد ١١ ٢٤ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) انظر تفسير البيضاوي ١ / ٢٠٦ .

(٦) انظر البحر المحيط ١ / ١٢٥ .

(٧) انظر التبيان ١ / ٤ .

(٨) انظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٣٢٢ .

(٩) انظر أسماء الله الحسنى / ٥٦ .

(١٠) انظر تفسير أبي السعود ١ / ١١ .

(١١) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٧ / ٤٧ .

ومن هذه الألفاظ " نَفْظ " عنيد " (١) فالعنيد هو الطاغى الذي لا يقبل الحق ولا يذعن له (٢) أو هو المعاند المتجاوز في الظلم (٣) وكلها دلالات تفيض بالمبالغة في الظلم والتعدي .

ومنه ما جاء على وزن " فَعَلَ " مثل " الصَّمَد " قال ابن منظور : { الصَّمَد : من صفاته تعالى وتقدّس — لأنه أصمدت إليه الأمور ، فلم يقض فيها غيره .. وقيل الصَّمَد : السَّيِّد الذي ينتهي إليه السُّودد ، وقيل : الصمد السَّيِّد الذي قد انتهى سُودده ، قال الأزهرى : أما الله تعالى فلا نهاية لسُودده ؛ لأن سُودده غير محدود ، وقيل : الصَّمَد الدائم الباقي بعد فناء خلقه .. وقيل : الصمد الذي صمد إليه كلُّ شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغنى عنه شيء ، وكلُّها دال على وحدانيته { (٤) وكلها دلالات تعني ألا نهاية لسُودده ، وأنه هو الباقي الدائم ، وإحاطته — سبحانه — التامة بجميع خلقه .

ومنه ما جاء على وزن 'فَعَالٍ مِثْلُ { 'أَجَاجٌ - 'عَجَابٌ - 'فَرَاتٌ }

الأولى: كما في قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ 'أَجَاجٌ ﴾ (٥) قال ابن منظور : { هو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر } (٦) .

والثانية: كما في قوله تعالى : ﴿ أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ 'عَجَابٌ ﴾ (٧) .

قال ابن منظور : { أمر 'عَجَابٌ و'عَجَبٌ و'عَجِبٌ .. على المبالغة .. قال صاحب العين : بين العجيب والعجاب فرقٌ " ، أما العجيب

(١) كما في قوله تعالى " واتبعوا أمر كلِّ جبار عنيد " هود ٥٩ .

(٢) انظر القرطبي ٤ / ٣٣٧٣ .

(٣) انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ١٨٧ .

(٤) لسان العرب مادة ( ص . م . د ) .

(٥) الفرقان / ٥٣ .

(٦) لسان العرب مادة ( أ ، ج ، ح ) .

(٧) ص / ٥ .

فَالْعَجَبُ يَكُونُ مِثْلَهُ ، وَأَمَّا الْعُجَابُ فَالَّذِي تَجَاوَزَ حَدَّ الْعَجَبِ { (١) } .

والثالثة كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ (٢) . قال ابن منظور : { الفراتُ أشدُّ الماءِ عذوبةً } (٣) وَيَبِينُ أَنَّ " أجاج " مبالغة في شدة الملوحة ، و " عجاب " مبالغة في تجاوز الحد في العجب ، و " فرات " مبالغة في شدة العذوبة والسلاسة وقد جاءت جميعها على وزن "فعال" من أوزان الصفة المشبهة .

## ٢ - زوائد للمبالغة :

أ- زيادة ألف المطاوعة (٤) :

نحو : يخادعون (٥) - يسارعون - يدافع

مثال " يخادعون " قوله تعالى : ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٦) قال أبو السعود : ( وإيثار صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في الكيفية فإن الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعاً أو في الكمية كما في الممارسة والمزاولة ، فإنهم كانوا مداومين على الخدع ) (٧) وقال ابن عاشور : ( أن يكون خادع بمعنى خدع أي غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين ، بل قصد المبالغة . قال ابن عطية عن الخليل : يُقال خادع من

(١) كما في قوله تعالى " واتبعوا أمر كل جبار عنيد " هود / ٥٩ .

(٢) المرسلات / ٢٧ .

(٣) لسان العرب مادة ( ف . ر . ت ) .

(٤) قال السيوطي : ( " وقاعل " وهو " للاشتراك في الفاعلية والمفعولية : كضارب زيد " عمراً ، فإن " كسلاً " من زيد وعمرو من جهة المعنى فاعل ومفعول ؛ إذ فعل " كل " واحدٍ منهما بصاحبه مثل ما فعل به الآخر ) مع الهوامع ٢ / ٢٦٧ .

(٥) في اللسان : ( الخدع : إظهار خلاف ما تخفيه .. قال الله عز وجل : " يخادعون الله " جاز يُفاعِلُ لغير اثنين ؛ لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد ، نحو عاقبت اللص .. قال الفارسي : قريء يخادعون الله ، ويخدعون الله ؛ قال : والعرب تقول : خادعت فلاناً إذا كنت تروم خدعه وعلى هذا يُوجّه قوله تعالى : " يخادعون الله وهو خادعهم معناه أنهم يُقدِّرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله ، والله هو المخادع لهم أي المجازي لهم جزاء خداعهم .. وقيل في قوله تعالى : " يخادعون الله " أي يخادعون ألياء الله ) لسان العرب ٢ / ١١١٢ .

(٦) البقرة / ٩ .

(٧) أبو السعود ١ / ٤٠ .

واحد ؛ لأن في المخادعة مُهَلَّة كما يُقال عالجت المريض لمكان المُهَلَّة ، قال ابن عطية : كأنه يرد فاعل إلى اثنين ولا بد من حيث إن فيه مُهَلَّة ومدافعة ومماطلة ، فكأنه يقاومُ في المعنى الذي يجيء فيه فاعل أم ، وهذا يرجع إلى جعل صيغة المفاعلة مستعارة لمعنى المبالغة بتشبيه الفعل القوي بالفعل الحاصل من فاعلَيْن على وجه التبعية ، ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عامر ومن معه : يخدعون ( ١ ) .

وايثار " يخدعون " في النسق القرآني بيان " لمدى أعمال المناق ووسائل المكر ، والاحتيال ، والتفنن في التستر ، والمبالغة في هذا إلى أبعد حد يُتصوّر ، ظانين أنهم تملّكوا أدوات الذكاء والدهاء ، معتقدين بجهلهم — أنه يجوز عليه — سبحانه — ما يجوز على بعض المؤمنين ، وما علموا أن الله — سبحانه — لا يُخدع ؛ لأن ما تمّ من تدبير وحيلة ، إنما تمّ بعلمه وتحت قهره وسلطانه ، ولهذا جاء النظم القرآني المبدع : " وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون " أي إن مرجع ما يدبرون ، وعاقبة ما يصنعون إنما وباله عليهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، ولكنهم قوم " لا يفقهون .

ومثال " يسارعون " : قوله تعالى : ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ ( ٢ )

( وأما المسارعة فالمسابقة أي : يسارعون غيرهم ، قال الزجاج : يسارعون أبلغ من يسرعون . انتهى . وجهة المبالغة أن المفاعلة تكون من اثنين فنقتضي حث النفس ؛ لأن من عارضك في شيء تشتهي أن تغلبه فيه ) ( ٣ ) .

وجاءت الفاصلة : " وهم لها سابقون " لتؤكد معنى التنافس والمُسارعة ( فالسبق تمثيل " للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق

(١) التحرير والتتوير ١ / ٢٧٦ ، وانظر الكشاف ١ / ٢١ ، ٢٢ .

(٢) المؤمنون / ٦١ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٣٧٩ .

إلى الغاية (١) فالمسارعة تمنح المتلقي دلالات متعددة تبعث على الاستباق والمبادرة ، وكلها تشبي بمساحات واسعة من بذل الأقصى لنيل أعلى الدرجات وبلوغ الصدارة ، والتطلع الذي لا ينقطع عن الكمال ، واحتساب العواقب ، والتحمل الواعي للواجبات والتكاليف .

ومثال " يدافع " : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٢) (قرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أي يببالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه) (٣) وقال الزمخشري : ( من قرأ " يدافع " فمعناه يببالغ في الدفع عنهم كما يببالغ من يغالب فيه ؛ لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ ) (٤)

لم يشأ الله — عز وجل — أن يترك المؤمنين أمام قوى الشر والطغيان عزلاً ، فالصراع — حتماً — مستمر " بين الحق والباطل ، ومن هنا جاءت البشارة بالنصر لأهل الحق ، فانظر إلى لطف الله — سبحانه — ورأفته بالمؤمنين في هذا النظم القرآني المبدع في إيثار كلمة " يدافع " على كلمة " يدفع " (٥) .

فالأولى تمنح المتلقي دلالات الطمأنينة إلى النصر والثقة في الغلبة أكثر مما تمنحه الثانية ، وأنه منصور في كل الأحوال كيف لا ؟ ! والله — عز وجل — هو الذي يدفع عنه ؛ بل يدافع عنه قوى الزيف والبهتان .

ب- زيادة الكاف : نحو " كمنه " :

في قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٦)

( تقول العرب : مثلك لا يفعل كذا يريدون به المخاطب ، كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان منفياً عن الشخص ، وهو من باب

(١) التحرير والتوير مجلد ٩ / ١٨ / ٧٨ .

(٢) الحج / ٣٨ .

(٣) البيضاوي ٢ / ٩٠ .

(٤) الكشاف ٣ / ٣٤ .

(٥) قرأ بها من القراء السبعة : ابن كثير وأبو عمرو . انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد — تحقيق د . شوقي ضيف — دار المعارف ط الثالثة ١٩٨٨م / ٤٣٧ .

(٦) الشورى / ١١ .

المبالغة فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من إطلاق المثل على نفس الشيء ويحتمل أن يراد بالمثل الصفة وذلك سائغ ، فيكون المعنى : ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره ، وهذا محمل سهل (١) .

ج- زيادة الهاء : نحو : بصيرة - سيارة - غائبة - همزة لمزة - قارعة - كاشفة .

مثال الأولى : قوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ ﴾ (٢)

قال الصاوي على الجلالين : ( " بل الإنسان على نفسه بصيرة " شاهدة تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة ) (٣) .

بصيرة بنية للمبالغة كراوية وهذا يعني أن الإنسان شاهد " على نفسه بصير " بنقصه وعييه وقد بلغ في ذلك قدراً عظيماً ، بحيث لا يحتاج - من شدة بصره بنفسه - إلى شاهد آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۚ ﴾ (٤) .

الثانية : سيارة : نحو قوله تعالى : " يلتقطه بعض السيارة " (٥) .

السيارة : جمع سيار ، وهو الكثير السير في الأرض الذي يقطع الأرض للتجارة وغيرها (٦) .

(١) دراسات لأسلوب القرآن / ٣٢٧ .

(٢) القيامة / ١٤ ، قال ابن منظور : ( البصيرة : عقيدة القلب .. والبصيرة : العيرة .. والبصيرة : الثبات في الدين .. والبصيرة : الشاهد .. وقوله تعالى : " بل الإنسان على نفسه بصيرة " قال ابن سيده : له معنيان : إن شئت كان الإنسان هو البصيرة على نفسه أي الشاهد ، وإن شئت جعلت البصيرة هنا غيره فعنيت به يديه ورجليه ولسانه ؛ لأن كل ذلك شاهد عليه يوم القيامة ، وقال الأخفش : " بل الإنسان على نفسه بصيرة " جعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك ، وقال ابن عرفة : على نفسه بصيرة أي عليها شاهد بعملها .. قال الأزهرى : يقول بل الإنسان يوم القيامة على نفسه جوارحه بصيرة " بما جنى عليها وهو قوله : " يوم تشهد عليهم ألسنتهم " ( لسان العرب ١ / ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٣) الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٢٨ ، وانظر البحر المحيط ٨ / ٣٧٧ .

(٤) الإسراء / ١٤ .

(٥) يوسف / ١٠ .

(٦) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ ، والتسهيل ٢ / ١١٥ .

ونكتة المبالغة — هنا — في أداء الصيغة في النقاطهم يوسف حيث سيذهبون به — قطعاً — إلى بلاد بعيدة ، لأنهم قد تعودوا الترحال ، وألّفوا قطع الفيافي والمفاوز ، ومن هنا يرتاحون منه في ذهابه إلى بلاد بعيدة من جهة ، ومن جهة أخرى لا يرتاب أبوهم في شأنهم عند تأخرهم في تنفيذ أي مهام في الإبعاد (١) .

الثالثة : غائبة :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) .

قال ابن جزي : ( " غائبة " الهاء فيه للمبالغة : أي ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو من عند الله في كتاب ) (٣) .

واللفظة تشي بمدى إحاطة علم الله — عز وجل — بجميع الأشياء مهما لطفت ودقت وخفيت .

الرابعة والخامسة : همزة لمزة :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (٤) .

قال ابن منظور : ( " ويلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ " وكذلك امرأة " هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة ) (٥) .

ودلالة " الهاء " في اللفظين — على الرغم من كونهما صيغتي مبالغة — هو تكتيف الدلالة وإعطاء نطاق المعنى دائرة أوسع في ذم المتصف بهما

(١) انظر القرطبي ٤ / ٣٤٥٤ .

(٢) النمل / ٧٥ .

(٣) التسهيل ٢ / ١٠٠ .

(٤) الهمزة / ١ .

(٥) لسان العرب مادة ( هـ . م . ز ) . وانظر الصاوي على الجلالين ٤ / ٢٩٩ .

من جهة (١) والتحذير من الاعتیاد على الاتصاف بهما من جهة أخرى .

السادسة : قارعة :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ۖ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ ﴾ (٢) .

المعنى : لا يزال كفار مكة تنتزل عليهم بسبب أعمالهم وكفرهم شتى صنوف المصائب والبلايا التي تفرعهم وتقلق بالهم وتفرع أسماعهم واحتمل أن تكون ( الهاء في " قارعة " للمبالغة ) (٣) .

السابعة : كاشفة :

نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (٤) . ( أي نفس " كاشفة تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج .... ويجوز أن تكون الهاء في كاشفة للمبالغة ) (٥) .

وإذا رجعنا إلى السياق القرآني ، وربطنا الآية بسابقتها : " أزفت الأزفة . ليس لها من دون الله كاشفة " تبين لنا المعنى في جلاء فقد جاء النظم القرآني معبراً عن الساعة بالزمن الماضي " أزفت " لتحقق الوقوع وتوكيده ، كذلك تعطي دلالة " أزفت " معنى القرب والدنو ، وقد عبّر عن هذا المعنى في التنزيل في مواضع عدة منها تسمية اليوم بالغد في قوله : ﴿ ولنتنظر نفس " ما قدمت لغد ﴾ (٦) .

(١) قيل نزلت في الأخنس بن شريق وقيل في غيره .

(٢) الرعد / ٣١ .

(٣) البحر المحيط ٥ / ٣٨٤ .

(٤) النجم / ٥٨ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ١٦٧ ، وقال ابن جزي : ( " كاشفة " يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدراً كالعافية أي ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره نفس " كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين : أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أي ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أي ليس لها من يعلم وقتها إلا الله ) التسهيل ٤ / ٧٩ .

(٦) الحشر / ١٨

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا \* وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ (١) ساعتها لا يقدر أحدٌ على كشفها ، ولا رَدَّها إذا غشيت الخلق بأهوالها وشدائدها إلا الله عز وجل ، وفي بنية " كاشفة " بيان " لشدتها وعجز الخلق عن إدراك حقيقتها ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا \* بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (٢) .

د - زيادة الهمزة والسين والتاء نحو : " يَسْتَسْخِرُونَ " (٣) .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (٤)

قال الزمخشري : ( " يَسْتَسْخِرُونَ يَبَالِغُونَ فِي السَّخْرِيةِ أَوْ يَسْتَدْعِي بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أَنْ يَسْخِرَ مِنْهَا ) (٥) .

اللافت أن الصيغة " يَسْتَسْخِرُونَ " وردت في نظم قرآني ، عطف فيه هذه الآية على آية سابقة وردت فيها كلمة " يَسْخِرُونَ " (٦) .

الكلمتان من مادةٍ واحدةٍ ، فما دلالة الثانية وزيادتها على الأولى ؟ !  
إنها دلالة المبالغة في السخرية والإنكار ، والاستهزاء بالآيات والمعجزات

(١) المعارج/ ٦ ، ٧ .

(٢) الزلزلة/ ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) في اللسان : ( قوله تعالى : " يَسْتَسْخِرُونَ " أي يَسْخِرُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ ، كما تقول : عجب وتعجب واستعجب بمعنى واحد ) لسان العرب مادة ( س . خ . ر ) .

(٤) الصافات/ ١٤ .

(٥) الكشاف/ ٣ / ٢٩٨ .

(٦) تمام الآيات : " بل عجبنا ويسخرون \* وإذا نكروا لا يذكرون \* وإذا رأوا آية يستسخرون " الصافات/ ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

التي 'أويد بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإذا كانت الصيغة تعني عند النحاة - أول ما تعني - "الطلب" فهو - هنا - فرع "من معنى" "المبالغة" التي تملكت هؤلاء القوم حتى بلغ من فرط غلوهم ، ومدى استقصائهم للهزء أن طلبوا من غيرهم مشاركتهم في هذا إمعانًا في الإنكار واستجماعًا للصدد والإعراض .

ونحو " يستحسرون "

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١) ( "ومن عنده" هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه ( فإن قلت ) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور ( قلت ) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقّاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ) (٢) وقال في المفردات : ( " لا يَسْتَكْبِرُونَ " عن عبادته ولا يستحسرون " وذلك أبلغ من قولك : " لا يَحْسِرُونَ " (٣) فهم لا يتعبون تعبًا شديدًا وكما تعودنا في نفي صيغة المبالغة كما في قوله تعالى : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٤) هو نفي لأصل الظلم والزيادة معًا ، واللافت في النظم العدول عن " يحسرون " إلى " يستحسرون " وذلك بيان " لأحقيتهم أن يقوموا بالعبادات الشديدة بيد أن الله - سبحانه - امتن عليهم فهم لا يجهدون في عبادتهم له تعالى .

ونحو " استعصم "

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاودَنَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعَصَمَ ﴾ (٥)

(١) الأنبياء / ١٩ .

(٢) الكشاف ٦ / ٣ .

(٣) المفردات / ٢٣٥ ، وقال في اللسان ( حَسِرَتِ الدَابَّةُ حَسْرًا إِذَا تَعَبَتْ حَتَّى تُتْقَى وَاسْتَحْسَرَتْ إِذَا أَعْيَتْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ " . وفي الحديث : ادعوا الله عز وجل ولا تستحسروا ، أي لا تملأوا ، قال : وهو استفعال من حَسِرَ إِذَا أَعْيَا وَتَعَبَ ( لسان العرب مادة ( ح . س . ر ) .

(٤) انظر صيغة فعّال في مبحث صيغ المبالغة .

(٥) يوسف / ٣٢ .

( الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب ) (١) وإيثار لفظة الاستعصام الدالة على المبالغة في الامتناع والتناهي في الإباء عن الفاحشة فيه دلالة على براءة يوسف - عليه السلام - مما توهم البعض في تفسير " الهم " في قوله تعالى : ﴿ ولقد هممت به وهمّ بها ﴾ (٢) أنه شروع في المعصية - حاشا - وإنما همّ بدفعها (٣) .

هـ- زيادة ياء النسب : نحو : " سِخْرِيًّا " .

كما في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (٤)

( السخري { بالضم والكسر } مصدر سخر كالسخر إلا أن ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهُزء والمضموم من السُخرة والعبودية أي تسخروهم واستعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه ) (٥) .

والملاحظ الجمالي في الصيغة أنها بالضم تعني التسخير والتخديم ، وبالكسر تعني الاستهزاء وقد قرئ بالوجهين وذلك لاحتمال المعنيين وفقاً لقاعدة " القرآن حمّل أوجه " بيد أن الألفق بالدلالة قراءة الكسر وهي قراءة " حفص " والدليل على ذلك قوله بعد ﴿ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (٦) .

(١) الكشاف ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) يوسف / ٢٤ .

(٣) ودلالة ذلك بالإضافة إلى الصيغة " فاستعصم " قطع ثوبه من الدبر والأهم ما وصفه الله به في ترتيب الآية نفسها " أنه من عبادنا المُخلصين " يوسف / ٢٤ .

(٤) المؤمنون / ١١٠ .

(٥) الكشاف ٣ / ٥٧ ، وفي المفردات " في الهامش " ( قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين ، والياقون بكسرها ) المفردات / ٤٠٢ . وانظر السبعة في القراءات / ٤٤٨ .

(٦) انظر التسهيل ٣ / ٥٧ .

و- زيادة التضعيف (١) .

كقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (٢)

( عمي عليه الأمر : التبس .. والتعمية : أن تُعمِّي على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه تلبساً ) (٣) .

فمعنى 'عميت' : أخفيت وقرئ 'عميت' (٤) ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما 'تجعل' مبصرة " تجعل " عمياء " ؛ لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره (٥) .

ولا ريب أن في زيادة المبني زيادةً للمعنى ، فاللفظ بالتضعيف هو المقابل الملائم لقوله تعالى - واصفاً منهج الرسل : ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ ففي الوقت الذي يدعو فيه الرسل إلى ربهم على بصيرة وفي نور تام ، في الوقت الذي تعمي فيه بصائر هؤلاء المعاندين عن الهدى بمراحل كثيرة ، يعطي السياق مفارقة قاطعة بين النور المبين للرسل والظلم الدامس لهؤلاء بعدم الاهتداء إلى الحق . وأشار الألويسي إلى الجمال في " عميت " فقال : ( والمراد به - هنا - الخفاء مجازاً يقال : حجة " عمياء كما يُقال : مبصرة للواضحة وفي الكلام استعارة تبعية من حيث إنه شبه خفاء الدليل بالعمى في أن كلاً منهما يمنع الوصول إلى المقاصد ، ثم فعل ما لا يخفى عليك ، وجوز أن يكون هناك استعارة تمثيلية بأن شبه الذي

(١) قال السيوطي : ( وقَعَلَ ) وهو " للتعدية " نحو : أنبئت الصبي ( والتكثير ) كفتحت الأبواب ، ودبحت الغنم ( والسلب ) : كقررت البعير ، وحلمته أي أزلت قراده وحلمه ( والتوجه ) كشرق ، وغرب وغور ، وكوف ، وبصر أي توجه نحو الشرق ، والغرب ، والغور ، والكوفه ، والبصرة ( واختصار الحكاية ) كأمّن ، وهلل ، وأيه ، وسبح ، وسوف إذا قال : آمين ، ولا إله إلا الله ، ويأيها ، وسبحان الله - وسوف ( وبمعنى فعل ) 'مخفف العين كقدر بمعنى قدر ، وبشر ، وميّر بمعنى : بشر وماز ) همع الهوامع ٣ / ٢٦٦ .

(٢) هود / ٢٨ .

(٣) لسان العرب مادة ( ع . م . ي ) .

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر " فعميت وقرأ حمزة والكسائي وكذلك حفص عن عاصم " فعميت " انظر كتاب السبعة في القراءات ٣٢٢/ وقرأ 'أبي' : " فعمها " انظر أبا السعود ٤ / ٢٠١ .

(٥) انظر أبا السعود ٤ / ٢٠١ .

لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه بمن سلك مفازة<sup>١</sup> لا يعرف طرقها واتبع دليلها<sup>٢</sup> أعمى فيها (١) .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (٢)

قيل كانت الأبواب سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام (٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ \* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (٤)

قرئ " سُكَّرَتْ " بالتشديد وقرئ أيضًا بالتخفيف ، ويُحتمل أن يكون مشتقًا من السُّكَّر ، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السُّكَّر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر (٥)

واللافت أن إدراك دلالة السياق القرآني في رحاب جماليات التلقي قد انبنى على المفارقة البديعة بين " فتحنا " و " سُكَّرَتْ " أضف إلى هذا دلالات الجرس الصوتي لكلمة " سُكَّرَتْ " ومعانيها المتعددة التي تدور حول الصرف والسد والحيرة وهي كلها تعكس مدى اللجاجة والانتكاس الذي وصل إليه القوم حيث أنكروا ما لا يصح إنكاره ، فجددوا الدلائل الكونية والشواهد العلوية فانغلقت عليهم كل السبل وسدَّت أمامهم كل الطرق فأنى يُصرفون ؟!

(١) روح المعاني ٣٩ / ١٢ .

(٢) يوسف ٢٣ ، قال ابن منظور : ( غلق الباب وأغلقه وغلقه ..... فهو مغلوق ، وفي التنزيل : " وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ " قال سيبويه : غلقت الأبواب للتكثير ، وقد يقال أغلقت يراد بها التكثير ، قال : وهو عربي جيد ) لسان العرب مادة ( غ . ل . ق ) . وقال الراغب الأصفهاني : ( أغلقت الباب وغلقت على التكثير وذلك إذا أغلقت أبوابًا كثيرة ، أو أغلقت بابًا واحدًا مرارًا ، أو أحكمت إغلاق باب وعلى هذا " وغلقت الأبواب " ) المفردات / ٦١٢ .

(٣) انظر أبا السعود ٤ / ٢٦٥ ، وانظر البحر المحيط ٥ / ٢٩٤ ، والقرطبي ٤ / ٣٤٨٥ والتحرير والتنوير مجلد ٦ / ١٢ / ٢٥٠ .

(٤) الحجر / ١٤ ، ١٥ ، قال في اللسان : ( سكر بصره : غشي عليه . وفي التنزيل العزيز : " لقالوا إنما سُكَّرَتْ أبصارنا " أي حُيبت عن النظر وحُيرت وقال أبو عمرو بن العلاء : معناها غطيت وغشيت ؛ وقرأها الحسن مخففة وفسرها سُجرت ) لسان العرب ٣ / ٢٠٤٨ .

(٥) انظر التسهيل ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١)

المُسَحَّرُ : الذي سُحِرَ كثيراً حتى غلب على عقله ، وهو مبالغة في المسحورين فهو على هذا من السحر بكسر السين ويحتمل أن يكون من السحر بفتح السين وهي الرئة ، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (٢) .

ومن هنا فالوصف إما قائم " على المبالغة في سحره حيث تمكن منه السحر تمكناً شديداً ، فأضحى يقول ما لا يعقل ، ويهرف بما لا يعرف ، ومن ثم تسقط - في نظرهم - أحقيته في الدعوة وتبليغ الرسالة ، وإما اللفظ مأخوذ من الرؤية والظهور فهو ليس من أهل الخفاء كالجن والملائكة ، وإنما هو بشر " يعتريه ما يعترى الناس من صفات وهنا - أيضاً - تسقط - في نظرهم - أحقيته في الدعوة وتبليغ الرسالة ، وهذا من إعجاز القرآن ، والنكته أن اللفظ بشئى دلالاته يؤدي إلى الغرض ذاته المساق إليه ولن تجد في غير القرآن مثل هذا الإعجاز .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ (٣)

قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن " تُصَاعِر " ( بالألف بعد الصاد ) وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد " تُصَعِّر " وقرأ الجدي " تُصَعِّر " ( بسكون الصاد ) مضارع أصعر ، واللفظ بهذا يكون قد قرئ بأدوات التعدية الثلاثة : الهمزة وألف المطاوعة والتضعيف والمعنى : لا تميلْ خدك للناس كبيراً عليهم وإعجاباً ، واحتقاراً لهم ، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة . وقيل : هو أن تلوي شذقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ، فالمعنى : أقبل عليهم متواضعاً مؤنساً مستأنساً ، وإذا حدثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه وكذلك كان

(١) الشعراء/ ١٥٣ ، ١٨٥ .

(٢) انظر الكشاف ٣ / ١٢٣ ، والتسهيل ٣ / ٨٩ .

(٣) لقمان/ ١٨ ، في اللسان ( الصَّعَّرَ : مِيلٌ " في الوجه ، وقيل : الصَّعَّرَ المِيلَ في الخدِّ خاصة .. وقيل هو ميلٌ " في العنق ، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشَّعَيْنِ . وقد صَعَّرَ خَدَّهُ وصاعره : أماله من الكبير .. وفي التنزيل : " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ " وقرئ ولا تصاعر ؛ قال الفراء : معناهما : الإعراض من الكبير ؛ وقال أبو اسحق : معناه لا تُعرض عن الناس تكبيراً ، ومجازة لا تُلزم خدَّكَ الصَّعَّرَ وأصعره : كصعَّره . والتصعير : إمالة الخدِّ عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر كأنه معرض ) لسان العرب مادة ( ص . ع . ر ) .

النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل (١) .

ومن بديع السياق القرآني هذا الأسلوب الكنائي الرفيع ، إضافة إلى الصيغة وما تحويه من تكثيف الدلالة حول نم الكبر والترفع على الناس يأتي مستوى آخر ومعنى ثانٍ هو الشق البياني التصويري ، وما يعتوره من ازدواجية في التعبير بين المعنى الظاهري السطحي غير المقصود والمعنى العميق الخفي وهو المقصود الذي أشير إليه بخفاء عن طريق الكناية ، ولا يخفى ما تضيفه الكناية من قيمة بيانية على المعنى من خلال سَوِّق الدليل عليه من جهة ومن جهة أخرى إحداث هذا التفاعل الخصيب والمستمر بين الخفاء والظهور .

ز - زيادة حرف الباء

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (٢)

هذا كلام أخوة يوسف لأبيهم بعد التخلص من يوسف برميهِ في قاع البئر أي لست بمصدق لنا ما قلناه { أكله الذئب } ولو كنا في الواقع صادقين ، ومجيء حرف الجر الزائد في " بمؤمن " يمنح السياق الدلالة على الارتباب وعدم الاستيثاق مما قالوه ، إذ ينفي " الحرف " أدنى إيمان بصحة ما قالوه ، فالمبالغة هنا في نفي أدنى درجات الإيمان عن تصديق قولهم .

(١) انظر القرطبي ٧ / ٥٢٢٦ ، ٥٢٢٧ ، والبحر المحيط ٧ / ١٨٣ .

(٢) يوسف / ١٧ .

### ٣- التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي

قد يوضع الفعل الماضي موضع المضارع وذلك لتحقيق الأمر ولقربه كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (١) كما يوضع أحياناً ليفيد المبالغة كما في قوله تعالى : ﴿ يَفْعَلُهُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُم النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (٢)

فإن فرعون يتقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان يتقدمهم في الدنيا إلى الضلال ( " فأوردهم النار " ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها مورداً ) (٣) .

وإذا تبينت إيثار صيغة الماضي - هنا - للتحقق الذي لا محالة فيه ، فإنه قد بقيت نكتة " لطيفة " في معنى الصيغة - لا مبناهما - ذلك أن الأصل في الورود هو المرور على الماء قصداً للاستسقاء منه وإذهاباً للظما ، أما هنا فهو ورود " على النار - عياداً بالله - حيث ( شَبَّهَ فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء ، وأتباعه بالواردة ، والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل ( وبئس الورد المورود ) أي بئس الذي يردونه النار ؛ لأن الورد إنما يُراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار على ضد ذلك ) (٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا ﴾ (٥)

قال الزركشي : " يجعل المتوقع فيه كالواقع ، فيؤتى بصيغة الماضي

(١) النحل / ١ .

(٢) هود / ٩٨ .

(٣) البيضاوي ١ / ٤٦٩ .

(٤) أبو السعود ٤ / ٢٣٩ .

(٥) الأعراف / ٤٨ .

مراراً به المضي ، تنزيلاً منزلة ما وقع ، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي بل جعل المستقبل ماضياً مبالغة " (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَفْرِعٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٢) .

فإنه لا يمكن أن يراد به المضي ، لمنافاة " ينفخ " الذي هو مستقبل في الواقع ، وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق وإنه من شأنه لتحقيقه أن يُعبّر عنه بالماضي (٣) .

#### ٤ - إيثار صيغة المضارع

كما في قوله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٤) .

قال ابن جزي : " { تَقْتُلُونَ } جاء مضارعاً مبالغة ، لأنه أيد استحضاره في النفوس ، أو لأنهم حاولوا قتل محمد - صلى الله عليه وسلم - لولا أن الله عصمه " (٥) والالتفات من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع يعطي إيحاءً لتجدد حدث القتل من قِبل اليهود .

كذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ (٦) .

حيث جاء الفعل " تصبح " مضارعاً للقطع بحدوثه ولتجدده قال ابن جزي : { تصبح - هنا - بمعنى تصير ، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة ، والبلاد الحارة ، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد .. وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة

(١) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٧٢ .

(٢) التمل / ٨٧ .

(٣) انظر البرهان ٣ / ٣٧٢ .

(٤) البقرة / ٨٧ .

(٥) التسهيل ١ / ٥٢ ، وما زال عطاء هذا الفعل المتجدد من قِبل اليهود يتكرر حدوثه مع الشعب الفلسطيني المكافح في صبرا وشاتيلا ومذبحة الحرم الإبراهيمي واغتيال الشيخ أحمد ياسين والرنتيسي .. الخ .

(٦) الحج / ٦٣ .

لِيَفِيدَ بَقَاءَهَا كَذَلِكَ مَدَّةً { (١) .

## ٥ - وضع المصدر موضع الصفة

من مواقع المبالغة أن يقع المصدر موضع اسم الفاعل كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (٢) .

فوقع المصدر " أمنًا " موضع اسم الفاعل " أمنًا " كما في قوله تعالى : ﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾ (٣) . ( على إيقاع المصدر موضع اسم الفاعل للمبالغة ) (٤) .

وقال ابن عاشور : ( الأمن مصدر أخبر به عن البيت باعتبار أنه سبب أمن فجعل كأنه نفس الأمن مبالغة ) (٥) ولا يخفى ما في النظم من جمال في الإسناد المجازي لكلمة " أمنًا " حيث أسند الأمن للبيت وحقه أن يسند إلى الناس كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (٦) .

كذلك قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ (٧) .

( النجوى : مصدر كالتقوى وإنما وصفوا بالمصدر لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تتاجيهم وأسرار المكاييد بينهم والصفة بالمصدر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك مثل قولهم : رجل " رضا وقوم " عدل " وما يجري هذا المجرى ) (٨) وقال ابن عاشور : ( النجوى : اسم مصدر المناجاة ، وهي المحادثة سرًّا .. وأخبر

(١) التسهيل ٣ / ٤٦ .

(٢) البقرة / ١٢٥ .

(٣) العنكبوت / ٦٧ .

(٤) أبو السعود ١ / ١٥٧ .

(٥) التحرير والتنوير ١ / ٧٠٦ .

(٦) آل عمران / ٩٧ .

(٧) الإسراء / ٤٧ .

(٨) تلخيص البيان في مجازات القرآن - للشريف الرضي - تحقيق د . علي محمود مقلد - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م / ١٥١ .

عنهم بالمصدر للمبالغة في كثرة تتاجيهم عند استماع القرآن تشاغلا<sup>(١)</sup> عنه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٢)

فايثار لفظة " بردًا " على ( ذات بَرْد ) أفاد المبالغة كما أشار إلى ذلك ابن جزي بقوله : ( أي ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ) (٣) .

وفي السياق لفتات " جمالية ذكرها المفسرون ( وفيه مبالغات جعل النار المُسَخَّرَة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة وإقامة كوني ذات بَرْدٍ مقام ابردي ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ) (٤) .

ومما وضع فيه المصدر موضع الصفة قوله تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٥) .

حيث وضع المصدر " هونًا " موضع الوصف " هينين أو مشيًا هينًا " ( إلا أن موضع المصدر موضع الصفة مبالغة ) (٦) .

وايثار المصدر في السياق فيه قوة في الفعل ، فعباد الرحمن بأخذهم هذا اللقب الرفيع ينمازون عن سائر الناس في خصالهم وأفعالهم ، فهم يمشون مُتَسَرِّبِلِينَ بكساء السكينة والوقار ، مُتَّسِحِينَ بوشاح التواضع والاتقاد قد راموا الغاية في الرقة واللطف واللين .

ومما وُضع فيه المصدر موضع اسم الفاعل قوله تعالى :

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ (٧) .

(١) التحرير والتنوير مجلد ٧ ١٢٠/١٥ .

(٢) الأنبياء / ٦٩ .

(٣) التسهيل ٢٩ / ٣ .

(٤) أبو السعود ٦ / ٧٦ ، والبيضاوي ٢ / ٧٤ ، وروح المعاني ١٧ / ٦٨ .

(٥) الفرقان / ٦٣ .

(٦) الكشاف ٣ / ١٠٣ .

(٧) الكهف / ٤١ .

( " وَاغْوَرًا " أي غائرًا ذاهبًا وهو مصدر وصف به ) (١) .

أي يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما في حديقته من زرع وشجر  
وحيث لا تستطيع له طلبًا وجاء الوصف بالمصدر للدلالة على شدة الغور  
وعجزه التام عن طلبه والنيل منه فضلًا عن إعادته وردّه كما كان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ ﴾ (٢) .

حيث وضع المصدر " كره " موضع اسم المفعول " مكروه " قال ابن  
جزي : { " كره " مصدر نكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى  
المخبوز } (٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَاعُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (٤) .

قال الزمخشري : { " بدمٍ كذب " ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة  
كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته  
ونحوه } (٥) ويبدو أنهم وضعوا " الدم " على القميص بطريقة عشوائية  
متعجلة بلا إتقان حتى أنهم " زلّ عنهم أن يمزقوه " (٦) فصار أمرًا مكشوفًا  
بالكذب حتى استحال الدم نفسه من المبالغة إلى أن صار هو الكاذب .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَشَرُّهُ بِثَمْنٍ بَخْسٍ ﴾ (٧) .

أي بثمن مبخوس ناقص عن القيمة نقصانًا ظاهرًا وفيه إشارة  
للمبالغة في القلّة .

(١) التسهيل ٢ / ١٨٩ .

(٢) البقرة / ٢١٦ .

(٣) التسهيل ١ / ٧٨ .

(٤) يوسف / ١٨ .

(٥) الكشاف ٢ / ٢٤٦ .

(٦) نفسه ٢ / ٢٤٦ .

(٧) يوسف / ٢٠ .

## ٦ - تَوْخِي اللَّفْظِ وَفَقًا لِلْمَعْنَى

إِذْ يَأْتِي اللَّفْظُ تَابِعًا لِقُوَّةِ الْمَعْنَى وَدَلَالَتِهِ عَلَى الْعَمَقِ (١).

كما في قوله تعالى : ﴿ تَأَلَّه تَفْتًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ (٢)

حيث جاء السياق بأغرب ألفاظ القسم ، وهي " التاء " ؛ فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتتصب الأخبار وهي " تفتاً " ، فإن " تزال " أقرب إلى الأفهام ، وأكثر استعمالاً ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحَرَضُ ، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة ، توخيًا لحسن الجوار ، ورغبةً في انتلاف المعاني بالألفاظ ولتتبادل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم (٣) والسياق مُشعر بالمبالغة المنوطة بهذا التوخي الدقيق للألفاظ الكاشفة في جلاء عن مدى غضب أبناء يعقوب وتغيظهم من أبيهم من جرّاء استمرار الحزن والأسف على يوسف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسِبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (٤) ، جاء السياق بلفظ " الاكتساب " المُشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لتقلها . وكذا قوله " فكبكبوا فيها " (٥) فهو أبلغ من " كبوا " للإشارة إلى أنهم يُكبُّون كِبًا عنيفًا فظيعًا .

(١) انظر الإتيان ٣ / ٢٦٢ .

(٢) يوسف / ٨٥ .

(٣) انظر البرهان ٣ / ٢٦٢ .

(٤) البقرة / ٢٨٦ .

(٥) الشعراء / ٩٤ .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ (١) فإنه أبلغ من " يصرخون " للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخًا منكرًا خارجًا عن الحد المعتاد ، وكذا قوله : ﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾ (٢) ، فإنه أبلغ من " قادر " ، للإشارة إلى زيادة التمكن في القدرة ، وأنه لا راد له ولا معقّب ومثل ذلك ﴿ اصْطَبِرْ ﴾ (٣) فإنه أبلغ من " اصبر " ومنه الفرق بين سقي وأسقى ، فإن " سقي " لما لا كلفة معه في السقيا ، ولهذا أوردته تعالى في شراب الجنة فقال : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٤) و" أسقى " لما فيه كلفة ، ولهذا أوردته في شراب الدنيا ، فقال : ﴿ وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً قُرَاتًا ﴾ (٥) ، ﴿ لَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (٦) ، لأن السقيا في الدنيا لا تخلو من الكلفة أبدًا (٧) .

## ٧ - إيثار الجمع :

يعدل النظم القرآني إلى الجمع ليكشف بدلالته الظاهرة على الكثرة عن قوة الصفة على سبيل المبالغة ، فإذا نظرت إلى قوله تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٨) تجده يطلق العين مفردةً لدلالة الحفظ والرعاية ثم تراه يطلق العين جمعًا ، فيضيف بالجمع دلالة أخرى على المبالغة في الحفظ والرعاية ، زيادة في طمأنة النبي - صلى الله عليه وسلم - والربط على قلبه وزيادة تكريم وتشريف له في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٩) فيأتي الجمع دليلًا على مضاعفة الحفظ والحياطة من الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في

(١) فاطر/ ٢٧ .

(٢) القمر/ ٤٢ .

(٣) طه/ ١٣٢ .

(٤) الإنسان/ ٢١ .

(٥) المرسلات/ ٢٧ .

(٦) الجن/ ١٦ .

(٧) انظر البرهان ٣ / ٢٦٣ .

(٨) طه/ ٣٩ .

(٩) الطور/ ٤٨ .

مواجهة حملات المشركين وكيدهم (١) .

ومن المبالغة بالجمع على سبيل التجوز بالكثرة عن الشدة ، قوله تعالى  
تصويراً لهول ما يحيط بالكافرين من الشدائد عند الموت ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ  
الظالمونَ فِي غَمَرَاتِ الموتِ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَسْطُورِ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ اليَوْمَ  
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحقِّ وكنتم عن آياته  
تستكبرون ﴾ (٢)

فكان للجمع " غمرات " أثر بالغ في تصوير ما أحاط بالظالمين من  
الشدائد وتكاثرها ، مبالغة في شدة ما يعانونه من آلام الموت ، ولما يلاقونه  
من الشدائد المتعددة التي لتعدد أشكالها وأحوالها لا يعبر عنها باسمٍ  
مفرد (٣) .

## ٨ — مخاطبة المرأة بخطاب الذكور :

من وسائل المبالغة في الخطاب أنه ( قد تخاطبُ المرأة بخطاب جمع  
الذكور ، أو يُكنى عنها بضمير جمع المذكر ، مبالغة في سترها ) (٤) ومنه  
قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ (٥) وذلك حين رأى موسى ناراً فقال  
لزوجه أقيمي مكانك فإني أبصرت ناراً (٦) وهذا من جميل الكنايات الدالة  
على المبالغة في الستر ، وما زال الناس على هذا الهدى حتى الآن فينادي  
الرجل زوجته أمام الناس باسم ابنه فيقول : يا أحمد يا إبراهيم  
يا عبد الرحمن وهو يعني زوجته !

(١) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ للدكتور محمد الأمين الخصري — مطبعة الحسين الإسلامية  
— ط الأولى ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م / ١٠٧ .

(٢) الأنعام / ٩٣ .

(٣) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ / ١٠٩ .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٨ / ٧٦ .

(٥) ورد هذا السياق القرآني مرتين : الأولى قوله تعالى : " قال لأهله امكثوا إني أنست ناراً " طه / ١٠ ،  
والأخرى : قوله تعالى : " قال لأهله امكثوا إني أنست ناراً لعلني أتیکم منها بخير " القصص / ٢٩ .

(٦) استأذن موسى شعبياً عليهما السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن " في  
ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق ، وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى  
النار عند ذلك انظر الكشاف ٢ / ٤٢٨ .

ومخاطبة المرأة بخطاب الذكور تعرفه العرب حيث ( جاء مثل ذلك في قول جميل :

إذ تذكرين بصالحٍ أن تذكرني      إني لأحفظ غيبكم ويسرني  
إن كان يوم لقائكم لم يقدرني      ياليتني ألقى المنية بغتةً  
فيفيق بعض صبابتي وتفكري      أو أستطيع تجلداً عن ذكركم

وكثر ذلك في شعر جميل ومجنون بني عامر ( ١ ) .

#### ٩ - تغاير القراءات :

القراءات القرآنية لها أقسام - كما ذكر السيوطي (٢) - منها المتواتر (٣) والمشهور (٤) والأحاد (٥) ، والشاذ (٦) والموضوع (٧) وقسم سادس أضافه السيوطي يشبه نوعاً من أنواع الحديث المُدرج (٨) .

والخلاصة أنه لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٧٦ / ٨ .

(٢) انظر الإتيان ٢١٥ / ١ .

(٣) هو ما نقله جمع " لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن متلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك .

(٤) هو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء ، فلم يعد من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ على ما ذكر ابن الجزري .

(٥) هو ما صح سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به وقد عقد الترمذي في جامعه ، والحاكم فس مستدرکه لذلك باباً أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد ، من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق الجحدري عن أبي بكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ " متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان " الرحمن ٧٦ وقراءة حفص " رفرف " ، و " عبقرى " انظر الإتيان ٢١٥ / ١ .

(٦) هو ما لم يصح سنده ، وفيه كتب " مؤلفة " منها المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، وإعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري من ذلك قراءة " ملك يوم الدين " بصيغة الماضي ونصب ( يوم ) و " إياك يُعبد " بينائه للمفعول .

(٧) كقراءات الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي ومنها " إنما يخشى الله من عباده العلماء " برفع الله ونصب العلماء ، وقد كتب الدارقطني وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع ، لا أصل له .

(٨) هو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص " وله أخ أو أخت من أم " أخرجه سعيد بن منصور وقراءة ابن عباس " ليس عليكم جناح " أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج " أخرجه البخاري . انظر الإتيان ٢١٥ / ١ ، ٢١٦ .

في أصله وأجزائه وفي محله ووضعه وترتيبه ؛ لأن هذا المعجز العظيم هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، مما ينبغي أن تتوقّر الدواعي على نقل جمّله وتفاصيله ولأنه لو لم يُشترط التواتر لجاز سقوط كثير من القرآن المُكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن (١) .

( والقرآن والقراءات حقيقتان مُتعايرتان ، فالقرآن هو الوحي المُنزل على محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهما ) (٢) .

وقد عرف " ابن الجزري " القراءة الصحيحة بقوله : ( كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحلُّ إنكارها ؛ بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلف ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة ، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم ؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ) (٣) .

وليس معنى ذلك أن أئمة القراءة تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة والأقيس في العربية ؛ بل تعمل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سُنةٌ مُتّبعة ، يلزم قبولها والصير إليها (٤) .

ويبدو أن مُنظري البلاغة العربية لم يعطوا هذا الجانب القرائي حقه كما ينبغي في إدراجه وكثرة الاستشهاد به في الفنون البلاغية المختلفة كما

---

(١) انظر الإتيان ١ / ٢١٧ .

(٢) الإتيان ١ / ٢٢٢ .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٨ .

(٤) انظر الإتيان ١ / ٢١١ .

نوه إلى ذلك بعض المعاصرين : { إن شريحة توجيه القراءات في تراثنا لاتزال ساقطة من حُسبان تاريخنا المعاصر للبلاغة والنقد وكان مرجع ذلك - في نظري - يعود إلى قلة اكتراث البلاغيين أنفسهم بتوجيه القراءات والاستشهاد بها في بحثهم حتى لا نجد لذلك إلا إشارات عابرة للشريف الرضي ( ت ٤٠٦ )<sup>١</sup> في كتابه " تلخيص البيان في مجازات القرآن ، وشاهدًا واحدًا لعبد القاهر ( ت ٤٧١ )<sup>٢</sup> في كتابه " دلائل الإعجاز " وشواهد عديدة للقزويني ( ت ٧٣٩ )<sup>٣</sup> في كتابه " الإيضاح " لا تعدو كونها صدى من أصداء توجيه القراءات في تراث من سبقهم { (١) .

ومرد ذلك يعود - في نظره - ( إلى اهتمامهم بالرواية المتواترة للمصحف الإمام كما يعود إلى تلك النظرة الجزئية التي وقفت عند حدود الآية أو بعضها عند الاستشهاد على فنون البلاغة والتمثيل لها ) (٢) .

ويمكن تقسيم القراءات حيال المبالغة مع قراءة حفص قسمين :

القسم الأول : قراءة نشأت عنها المبالغة ولم تكن في قراءة " حفص " .

القسم الآخر : قراءة تابعت قراءة " حفص " في بنية " المبالغة " :

أولاً : القسم الأول : القراءة التي نشأت عنها المبالغة : مثل قوله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما نُذِّروا به فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣)

( قرأ الجمهور " فَتَحْنَا " - بتخفيف المثناة الفوقية وقرأه ابن عامر ، وأبو جعفر ورؤيس عن يعقوب - بتشديدها - للمبالغة في الفتح بكثرته كما أفاده قوله : ﴿ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٤)

---

(١) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د . أحمد سعد محمد - مكتبة الآداب ط الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م / ٩ .

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية / ٨٧ .

(٣) الأنعام / ٤٤ .

(٤) التحرير والتنوير مجلد ٤ جزء ٧ / ٢٣٠ ، وقال الألويسي : " قرأ أبو جعفر وابن عامر " فَتَحْنَا " بالتشديد للتكثير " روح المعاني ٧ / ١٥٢ .

وبإمكانك أن تتلمس جمال النظم القرآني في مفردات ثلاث هي :  
 أبواب - فئحنا - كل ، فالأولى أنت جمعاً للدلالة على الكثرة والوسع  
 والثانية مُشَدَّدة لدلالة القوة في الفعل وأنها قد فتحت على مصارعها وكانت  
 الثالثة لبيان شمول النعم والخيرات وتنوعها من أرزاق وأموال وتجارات  
 ومساكن وسلطان ... الخ ، وهذا كله يمنح المتلقي انطباعاً بيّناً على مدى  
 التدفق الهائل للنعم التي انهمرت عليهم كالسيل بلا حواجز أو عوائق ؛ بل  
 بلا كدٍّ أو عناء .

ومثله قوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (١)

( قرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا " بكل سحَّار " وقرأ سائر الناس  
 " ساحر " وهما متقاربان ، إلا أن فعلاً " أشد مبالغة ) (٢) .

والسَّـرُّ في قراءة - سحَّار - ببنيّة المبالغة هو طمأنة فرعون  
 وتهديئته ؛ لأنه جاء بعد قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ إِنَّ هَذَا لِسَاحِرٌ ﴾  
 عَلِيمٍ (٣) فأرادوا أن يثبتوا له أن ثمة من هو أعلم من موسى وأشد تفوقاً  
 في فن السحر منه (٤) وإذا كان هو " ساحر " فهناك " السحَّار " ، فالزيادة  
 في الصيغة على هذا النحو جعلته يركن إلى المغالبة ويتسرّب إلى نفسه  
 الاعتقاد بالانتصار على موسى - عليه السلام .

كذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ  
 الْجُبِّ ﴾ (٥) ( الغيابات: جمع غيابة ، وهي ما غاب عن البصر من شيء ،  
 فيقال : غيابة الجب وغيابة القبر والمراد قعر الجُبِّ ، والجب : البئر التي  
 تُحفر ولا تُطوى . وقرأ نافع ، وأبو جعفر " غيابات " بالجمع ومعناه جهات  
 تلك الغيابة ، أو يجعل الجمع للمبالغة في ماهية الاسم كقوله تعالى :

(١) الأعراف/ ١١٢ .

(٢) القرطبي ٤ / ٢٧٨٧ ، وانظر أبا السعود ٣ / ٢٥٩ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٦٠ .

(٣) الأعراف/ ١٠٩ .

(٤) انظر أبا السعود ٣ / ٢٥٩ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٦٠ .

(٥) يوسف/ ١٥

﴿ أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴾ (١) ، وقرأ ابن هرmez ( غِيَابَات )  
 بالتشديد والجمع ، والذي يظهر أنه سُمِّي باسم الفاعل الذي للمبالغة فهو  
 وصف " في الأصل " (٢) .

والنكتة في الجمع هو تهيئة النفس في تلقي جملة الأخطار التي واجهها  
 يوسف - عليه السلام - في البئر ؛ فهي شديدة العور ، شديدة الظلمة (٣)  
 شديدة الوحشة للأميرين السابقين ، أضف إلى ذلك " الوحشة النفسية " فيما  
 صنعه به أخوته فقد روي أنه لما " أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم  
 فنزعوها من يديه ، فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا  
 إخوتاه ردوا علي قميصي أتواري به ، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا  
 به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ودلوه  
 في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى  
 إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم  
 فأرادوا أن يرضخوه ليقنطروه فمنعهم " يهودا " وكان " يهودا " يأتيه  
 بالطعام (٤) .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رِعْوَسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هُوَ لَاءِ  
 يُنْطِقُونَ ﴾ (٥) ( النكس : قلب الشيء على رأسه ، نكسه ينكسه نكساً  
 فانكس ونكس رأسه : أماله ، ونكسته تنكساً وفي التنزيل : ﴿ ناكسو  
 رِعْوَسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ والناكس : المُطْأَطِيءُ رأسه . ونكس رأسه إذا  
 طأطأه من دُل .. قال الفراء في قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى  
 رِعْوَسِهِمْ ﴾ يقول : رجعوا عما عرفوا من الحجة لإبراهيم ، على نبينا  
 محمد وعليه الصلاة والسلام (٦) .

(١) التحرير والتنوير مجلد ٦ جزء ١٢/٢٢٤ ، وقال في اللسان ( في التنزيل العزيز : " في غيابات  
 الجب " . وغاب الشيء في الشيء غيبةً وغيوباً ، وغياباً ، وغياباً وغيبةً ، وفي صرف  
 أبي ، في غيبة الجب ) لسان العرب ٥ / ٣٣٢٣ .

(٢) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٨٥ .

(٣) فسر " الصاوي " الغيبة بالشيء المظلم . انظر الصاوي على الجلالين ٢ / ٢٠٠ .

(٤) الكشف ٢ / ٢٤٥ .

(٥) الأنبياء / ٦٥ .

(٦) لسان العرب ٦ / ٤٥٤٠ .

وَقَرَأَ "نُكَسُوا" بِالتَّشْدِيدِ ، وَذَلِكَ لِفِرْطِ إِطْرَاقِهِمْ خَجَلًا وَانْكَسَارًا  
وَانْخِزَالًا مِمَّا بَهَتَهُمْ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا أَحَارُوا جَوَابًا إِلَّا مَا هُوَ  
حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ (١) .

وَمِنَ اللَّفَاتِ الْجَمَالِيَةِ لِلْفِظِّ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ أَوْ الْكِنَايَةِ قَالَ  
أَبُو حِيَانَ : ( وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ لِلَّذِي يَرْتَطِمُ فِي غِيَّهِ كَأَنَّهُ مَنْكُوسٌ عَلَى رَأْسِهِ ،  
وَهِيَ أَقْبَحُ هَيْئَةٍ لِلإِنْسَانِ فَكَأَنَّهُ عَقَلَهُ مَنْكُوسٌ أَي مَقْلُوبٌ لِانْقِلَابِ شَكْلِهِ جَعَلَ  
أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، فَرَجُوعُهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ كِنَايَةً عَنِ اسْتِقَامَةِ فِكْرِهِمْ ، وَنَكْسُهُمْ كِنَايَةً  
عَنِ مَجَادَلَتِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ كِنَايَةً عَنِ  
تَطَاوُؤِ رُؤُوسِهِمْ وَتَنَكُّيسِهَا إِلَى الْأَرْضِ عَلَى سَبِيلِ الْخَجَلِ وَالْإِنْكَسَارِ ، مِمَّا  
بَهَتَهُمْ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَدَفْعِهِمْ بِهِ فُلْمٍ يَطِيقُوا جَوَابًا ) (٢) .

كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمٌ الْغَيْبِ ﴾ (٣)

( قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي "عَلَامُ الْغَيْبِ" لِلْمُبَالَغَةِ ، وَنَافِعُ وَابْنُ عَمْرٍ  
وَرُوَيْسٌ "عَالَمُ الْغَيْبِ" ) (٤) .

فَضُمَّنَ السِّيَاقُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَسْلُوبِ الْقِسْمِ (٥) وَتَأْكِيدَاتِهِ — عَنِ طَرِيقِ  
التَّغَايُرِ الْقَرَائِنِيِّ — إِضَافَةَ دَلَالَةٍ "بِنِيَّةِ الْمُبَالَغَةِ" { عَلَامٌ } الَّتِي تَشْبِي  
بِمَدَى تَحَقُّقِ الْوُقُوعِ وَالْيَقِينِ بِأَنَّ السَّاعَةَ وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ إِذِ الْمَعْنَى : أَقْسَمُ  
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لَتَأْتِيَنَّكُمْ السَّاعَةُ — لَا مَفْرَ — لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ ، بَلْ مِنْ

(١) انظر الكشاف ٣ / ١٥ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ٣٠٣ .

(٣) سبأ / ٣ .

(٤) البيضاوي ٢ / ٢٥٥ ، وانظر البحر المحيط ٧ / ٢٤٨ ، والقرطبي ٨ / ٥٥٢٩ ، قال الصاوي على  
الجلالين : ( " بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب " بالجر صفة والرفع خير مبتدأ وعلامة بالجر "   
فالقراءات الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه " واحد " في صيغة المبالغة ) الصاوي  
على الجلالين ٣ / ٢٤٢ .

(٥) في سياقات القرآن كله ثمة سياقات ثلاثة أمر الله — عز وجل — فيها رسوله — صلى الله عليه وسلم  
— : أن يقسم بربه العظيم على وقوعها هذه إحداهما والثانية قوله تعالى : " قل إني وربى إني لحق "   
يونس / ٥٣ والثالثة قوله تعالى : " قل بلى وربى لتبعثن " التغابن / ٧ .

عند علم الغيوب — سبحانه ، فأنى يتخلفون عنها ، أو يُشكُّ في وقوعها طرفة عين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ (١)

( عبس يَعِيسُ عَبَسًا وَعَبَسَ : قَطَّبَ ما بين عينيه .. عَبَسَ تَعْبِيسًا ، فهو مُعَبِّسٌ وَعَبَّاسٌ إذا كَرِهَ وجهه ، سُدَّ للمبالغة ) (٢) .

قال أبو السعود : ( وقرئ { عَبَسَ } بالتشديد للمبالغة ) (٣) .

ودلالة ( عبس ) في السياق القرآني سواء بالتشديد ام بالتخفيف فيها بيان " أنه صلى الله عليه وسلم عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه ( قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العُتْب ؛ لأن في ذلك بعض الإعراض ، وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام " للنبي صلى الله عليه وسلم وتزويه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن ) (٤) ولعل هذا التأويل الأخير للسياق القرآني هو الألق بالدلالة في مخاطبته صلى الله عليه وسلم بلفظ " الغائب " تكرمًا ، وهنا يعفينا هذا " الفهم " من تفسير تشديد البنية " عَبَسَ " للمبالغة فالصيغة اللفظية وإن حوت الشدة في العبوس ، فقد جاء السياق الخطابي الأدبي في القرآن ليحوي دلالاتٍ أخرى من الإكرام لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما حواه اللفظ من شحنات التقطيب وشدته خففه السياق القرآني في خطابه بروعته وإعجازه .

(١) عبس/ ١ .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٧٨٤ .

(٣) أبو السعود ٩ / ١٠٧ ، وسبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على إسلام قريش وكان يدعو أشراقتهم إلى الله تعالى ليُسلموا فيسلم بإسلامهم خلق " كثير فيينما هو مع رجلٍ من عظماهم قَيل هو الوليد بن المغيرة وقَيل عبة بن ربيعة وقَيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه يتساغله بالقوم فكره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي وييسط له رداؤه وقد استخلفه على المدينة مرتين انظر التمهيل ٤ / ١٧٨ .

(٤) التمهيل ٤ / ١٧٨ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (١)

قال الزمخشري : { أي بليغ في العجب وقرئ 'عجَابُ بالتشديد كقوله تعالى : ﴿ مَكْرًا كَبِيرًا ﴾ وهو أبلغ من المخفف } (٢) .

هذه المبالغة من قِبَل المشركين الذين تعجبوا غاية العجب من ترك الشرك بالله إذ إن قلوبهم قد أشربت عبادة الأوثان التي تلقوها عن آبائهم ، فلما دعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى عبادة الله الواحد قالوا في عجب : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ فأولى لهم أنى يُصرفون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٣)

قرأ عليٌّ - رضي الله عنه - " وَلَا تَقْتُلُوا " بالتشديد (٤) مبالغة في الزجر أضف إلى ذلك ما حواه السياق من مبالغة أخرى كما قال الألويسي : " أي لا يقتل بعضهم بعضًا ، وعبر عن البعض المنهي عن قتلهم بالأنفس للمبالغة في الزجر " (٥) .

القسم الثاني : القراءة التي تابعت قراءة " حفص " في بنية " المبالغة " وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْ لَكُمْ ﴾ (٦)

ذِكْرُ " القرض " تَلَطُّفٌ فِي الاستدعاء وذلك بصرف المال في

(١) ص - / ٥ .

(٢) الكشاف ٣ / ٣١٧ ، قال الفراء : هو مثل قولهم : رجل كريم وكرام وكبر وكرم وكبير وكبار وكبار و 'عجَابُ بالتشديد أكثر من 'عجَاب . انظر لسان العرب مادة ( ع . ج . ب ) .

(٣) النساء / ٢٩ .

(٤) انظر الكشاف ١ / ٢٦٤ .

(٥) روح المعاني ٥ / ١٦ .

(٦) التغابن / ١٧ ، ( قال تعالى : " وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا " ويقال : اقترضت فلانًا ، وهو ما تعطيه ليقضيه . وكل أمر يتجازى به الناس فيما بينهم ، فهو من القروض .. وقال أبو إسحق النحوي في قوله تعالى : " من ذا الذي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا " البقرة ٢٤٥ قال معنى القرض البلاء الحسن ، تقول العرب : لك عندي قرضٌ " حسن ، وقرضٌ " سيئ " ، وأصل القرض ما يُعطيه الرجل أو يفعله ليُجازى عليه ؛ والله عز وجل لا يستقرض من عَوَزَ ولكنه يبلى عباده ) لسان العرب ٥ / ٣٥٨٩ .

مصارفه الشرعية التي حدّدها الشرع وقوله ﴿يُضَاعَفْ لَكُمْ﴾ وفي قراءة " يُضَاعَفْ " (١) بالتشديد أي بالواحدة عشر ، إلى سبعمائة ، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى (٢) .

ومن اللفظات الجمالية في السياق وصف القرض " بالحسن " فيه دلالة " بكونه خالصاً طيباً من حلال من غير من ولا أذى ، وإعطاؤه عن طيب نفس ، وبَيِّن " أن " القراءتين " بألف المطاوعة " و " التشديد " قد أدتا الدلالة نفسها في مضاعفة أجر الله - عز وجل - للمتصدقين وأنه سبحانه جواد " كريم " مَنَّان ، يُثيب على العمل الزهيد الثواب الجزيل ، ويعطي على القليل الأجر العظيم ما استقامت النية ، وخلصت الطوية .

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب " يُضَاعَفْ " مشددة بغير ألف . انظر السبعة في القراءات / ٦٣٨ والبيضاوي ٢ / ٥٠٠ .

(٢) انظر الكشاف ٤ / ١٠٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٧٦ والساوي على الجلالين ٤ / ١٨٠ .